الشيخ أكرم بركات

ولياليَ عشر

| محاضرات عاشورائية |

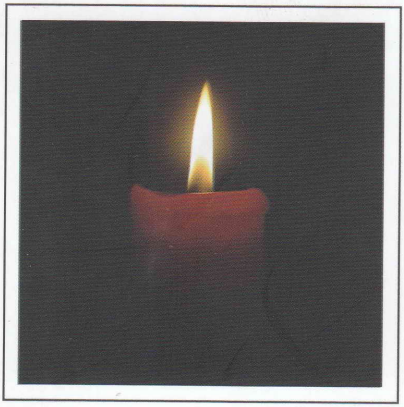

دار الولاء

ولـــــيـــــالٍ عـــشـــر

(محاضرات عاشورائية)

اسم الكتاب : ولياليٍ عشر (محاضرات عاشوريّة)

الـــكـــاتـــب: الشيخ أكرم بركات

الـنـاشـــــر : دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة السادسة: بيروت ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م

جميع الحقوق محفوظة

ولـــــيـــــالٍ عـــَـشـــْـر

(محاضرات عاشورئيّة)

الشيخ أكرم بركات

دار الولاء

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة على منبر القائم عجل الله فرجه الشريف

قضايا تلامس حاجة المجتمع وتوضح برنامج سعادة الإنسان في الدارين تناولها الشيخ أكرم بركات على منبر مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف في الضاحية الجنوبية لبيروت ثم ألبسها ثوبَ الكلمات المكتوبة بين يديك عسى أن تكون محلاً للقبول.

المقدّمة

الحمد لله ربِّ الشهداء والصِّدِّيقين، وصلّى الله على أشرف النبيّين، وأعزِّ المرسلين، محمّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

ذكر إمام الأُمَّة المفدَّى السيّد الخامنئي دام ظله أنّ مجالس عاشوراء يجب أن تقوم على ثلاثة أمور:

الأوّل: أن تسهم في زيادة حبّ أهل البيت في قلوب الناس.

الثاني: أن تتوضَّح فيها مبادىء قيام عاشوراء للناس.

الثالث: أن تعمل على زيادة المعرفة الدينيّة والإيمانيّة[1].

انطلاقاً من هذه الأمور كانت مجموعة من الخطب العاشورائيّة ألقيتُها في مركز القائم الإسلاميّ عجل الله فرجه في بيروت عام ١٤٢٠ للهجرة، ثم رأيت أنَّ في نشرها - وبعد بعض التعديل - فائدة لعامّة الناس من ناحية، وللخطباء ولقرَّاء العزاء الحسينيّ، من ناحية أخرى؛ وذلك لما تشتمل عليه هذه الخطب من موضوعات تحمل صفتي المفيدة واللّافتة، وقد حرصت على أن أوثِّق النصوص الواردة في هذه الكلمات ليستفيد من ذلك من أراد التوسّع في الموضوعات المطروحة، آملاً في ذلك أن أكون في عملي هذا قد أدَّيت خدمة - ولو متواضعة - في المسيرة العاشورائيّة الخالدة، سائلاً المولى

(١) انظر: خطاب القائد (مناسبة شهر محرّم الحرام)، منشورات الوحدة الإعلامية المركزيّة في حزب الله، ص١٤ - ١٥.

أن يكون ما أدَّيتُه خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون مدخلاً لشفاعة الحسين عليه السلام يوم القيامة.

والحمد لله ربِّ العالمين

المحاضرة الأولى

الحسين عليه السلام

النور الخامس

الحسين عليه السلام النور الخامس

سرُّ الملتقى بين محمّد صلى الله عليه وآله والآل عليهم السلام

الأوّل من محرَّم...

توقيتٌ يندمج فيه إحياءان لحادثتين عظيمتين من تاريخ الإسلام.

الأولى: هجرة سيّد الأنبياء محمّد[1] صلى الله عليه وآله.

الثانية: هجرة سيّد الشهداء الحسين عليه السلام.

❖ فالمكان واحد، وهو أقدس بقاع الأرض مكّة، فالنبيّ صلى الله عليه وآله هاجر منها، ومنها هاجر الحسين عليه السلام.

❖ والسبب واحد، وهو محاولة اغتيال بطل الهِجرة، فقد تمّ التآمرُ على النبيّ ليُغتال في مكّة فهاجر منها، وكذلك على الحسين عليه السلام ليُغتال في مكّة ولو كان متسدّلاً بأستار الكعبة، فهاجر منها.

❖ والغاية واحدة، وهي البحث عن الأنصار لنصرة الإسلام.

---

(١) المشهور عند أهل السنّة أنّ هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله كانت في الأوّل من محرَّم، إلاّ أن العديد من المحقّقين والباحثين ذكروا أنّ هجرته الشريفة كانت في الأوّل من ربيع الأوّل، ولهذا قلنا «إحياءان» لجريان العادة على إحياء ذكرى هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله في الأوّل من محرم.

الملتَقَى بين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والحسين عليه السلام

وبين شخصيَّتَيْ الهجرة جامع مقدَّس، ألا وهو الكِساء، فمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم هو أوّل أصحاب الكِساء، والحسين عليه السلام من أصحاب الكساء[١]، فكان الكساء هوالملتَقَى بين محمّد والحسين عليهما السلام، لكنّه لم يكن بداية الملتقى، بل كان الملتقى قبلَ قبلِ الكساء، بل قبلَ قبلِ الكون...

الملتقَى الأوّل: عالَم الأنوار

كان اللّقاء الأوّل في عالم الأنوار حيث خلق الله من نور عظمته[٢] محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكانوا في سُرادق العرش يسبّحون الله وتسبِّح الملائكة بتسبيحهم، قبل أن يخلق الله عزَّ وجلَّ، آدم[٣].

واستمرَّ الملتقى:

... مع آدم عليه السلام

فحينما أراد الله تعالى أن يخلق آدم قال لملائكته: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٤]، فسألته الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن

---

(١) انظر حديث الكساء في «فضائل الخمسة من الصحاح الستة» للعلامة الفيروزآبادي، منشورات مؤسّسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٢م، ج١، ص ٢٧١.

(٢) انظر: المجلسي، بحار الأنوار، منشورات مؤسّسة الوفاء ١٩٨٣م، ج٢٥، ص٤، حديث ٧.

(٣) المصدر السابق، ص٢، حديث ٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

﴿يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[١]، وكان منطلق كلام الملائكة أنّهم نظروا إلى الصفحة السوداء من مستقبل البشريّة حيث الفساد وسفك الدماء، لكنَّ الله تعالى كان ينظر إلى أنوار تتلألأ في هذا الظلام هي سرُّالخلق، وخلفيَّة جواب الله لملائكته: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢]. وأراد الله تعالى أن يعرِّفهم قُصورَ معرفتهم وضيقَ نظرتهم حين ﴿عَلَّمَ آدَمَ﴾[٣] أسماء تلك الأنوار، وقال لملائكته: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء﴾[٤]... حينها التفتت الملائكة إلى عجزها وأعلنت خضوعها للحقّ قائلة: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[٥]. ورفع الله من مقام آدم بأسماء تلك الأنوار حينما قال له: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[٦]، فإذا بآدم يتلو بلسانه أسماء حجج الله[٧] فابتدأ بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم واستمرّ مع الحسين عليه السلام، فكان الملتقى بين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والحسين عليه السلام مع آدم عليه السلام في السماء.

وهبط آدم عليه السلام من جنّة الله إلى الأرض بعدما ألمَّ به، فأراد أن يتوب إلى الله، فتلقّى من ربّه كلمات.. إنها أسماء تلك الأنوار

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٢.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٣٣.
(٧) انظر: الحويزي، تفسير نورالثقلين، منشورات إسماعيليان، قم، ج١، ص ٥٤، وفيه عن الإمام الصادق عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى علّم آدم عليه السلام أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم - وهو أرواح - على الملائكة.
وانظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، منشورات الأعلمي، بيروت، ج١، ص ١٢٠.

رآها آدم على ساق العرش، فلقّنه جبرئيل عليه السلام: «**قل: يا حميدُ بحقّ محمّد، يا عالي بحقّ عليّ، يا فاطرُ بحقّ فاطمة، يا محسنُ بحقّ الحسن والحسين ومنك الإحسان**»[١].

... مع نبيّ الله نوح عليه السلام

واستمرَّ الملتقى بين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والحسين عليه السلام مع نبيّ الله نوح عليه السلام حينما أراد أن يبنيَ سفينة البشريّة الباقية التي تتحدّى الطوفان الأعظم، فأنزل جبرئيل عليه السلام إليه مساميرَ مباركة بها ثبتت السفينة، فضرب نوح بيده إلى مسمار فأشرق بيده، وأضاء كما يضيء الكوكب الدرِّيُّ في أفق السماء فتحيَّر نوح، فأنطق الله المسمار بلسان طَلْقٍ ذَلِق: أنا على اسم خير الأنبياء محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم... ثمّ ضرب بيده إلى مسمار خامس، فزهر وأنار وأظهر النداوة، فقال جبرئيل: «**هذا مسمار الحسين عليه السلام**»[٢]... فكان الملتقى في سفينة نوح بين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والحسين عليه السلام.

واستمرّ الملتقى...

... مع خليل الله إبراهيم عليه السلام:

بل في قلب خليل الله إبراهيم عليه السلام اجتمع حبُّمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم وحبُّ الحسين عليه السلام حينما سأله الله تعالى: يا إبراهيم، من أحبُّ خلقي

---

(١) انظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٢٤٥. وانظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١، ص١٤٨، نقل هذه الرواية عن الكليني في الكافي.

(٢) انظر: الرواية في بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٢٣٠.

إليك؟ فقال: يا ربُّ ما خلقت خلقاً هو أحبُّ إليَّ من حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فسأله تعالى: فولده أحبُّ إليك أو ولدك؟ قال: بل ولده. فقال تعالى: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أُمَّة محمّد ستقتل الحسين عليه السلام ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يُذبح الكَبْش، ويستوجبون بذلك سَخَطي، فجَزِعَ إبراهيم لذلك، وتوجَّع قلبه، وأقبل يبكي[1].

واستمرَّ الملتقى بين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والحسين عليه السلام.

... مع كليم الله موسى عليه السلام

فحينما أصابَ العطشُ قومَ كليم موسى عليه السلام وهُم في التيه، ضجّوا إليه بالبكاء فـ (استسقى موسى لقومه)[2] داعياً ربَّه: «**إلهي بحقّ محمّد سيّد الأنبياء، وبحقّ عليّ سيّد الأوصياء، وبحقّ فاطمة سيّدة النساء، وبحقّ الحسن سيّد الأولياء، وبحقّ الحسين أفضل الشهداء...**»[3] فكان الملتقى بين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والحسين عليه السلام على لسان كليم الله في دعائه.

واستمرّ الملتقى بين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والحسين عليه السلام.

---

(١) انظر: الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام في بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٠.
(٣) الجزائري، قصص الأنبياء، منشورات الأعلمي، بيروت، ط٨، ص ٣٠٠.

... مع روح الله عيسى عليه السلام

حينما مرَّ مع حواريّيه في كربلاء فحُدِّث عن الحسين عليه السلام سبط محمّد[١] صلى الله عليه وآله وسلم ... ويستمرُّ الملتقى بين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والحسين عليه السلام.

... في يوم القيامة

وفي أعلى منبر من منابر الأولياء، هناك يقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرَم اليوم؟ فيأتي الجواب من محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين: لله الواحد، فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع، إنّي جعلت الكرَمَ لمحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين.

الملتقى في التشريع الإلهي

ولم يقتصر الملتقى بين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام ومنهم الحسين عليه السلام في عالم التكوين، بل تأكّد في تشريع الله تعالى حين رفض نبيُّ الإسلام أن يُصَلَّى عليه بمفرده فقال: «**من صلَّى عليَّ، ولم يصلِّ على آلي رُدَّت عليه**»[٢]. بل أصرَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ما ورد عنه أن لا يُفصَل بينه وبين آله في الصلاة بـ «على» فقال: «**لا تُفرِّقوا بيني وبين آلي بعلى**»[٣] وفرض الله هذه الصلاة في الصلاة فأنشد الشافعي قائلاً:

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٤٤.

(٢) الطبرسي، مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم، ج٥، ص٣٥٦.

(٣) المصدر السابق.

يا آلَ بيتِ رسولِ اللهِ حبُّكُمُ
فرضٌ من اللهِ في القرآن أنزلَهُ
يكفيكُمُ من عظيمِ الفخرِ أنَّكُمُ
من لم يصلِّ عليكم لا صلاةَ له[١]

وقد بيَّن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم ثواب من عبَّر عن الملتقى بين محمّد والآل ببشارةٍ وَرَدَ أنّه بشَّر بها أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السلام مع وعيد للمفرِّق بينهم قائلاً له: «**... الرجل من أُمَّتي إذا صلَّى عليَّ وأتبع بالصلاة على أهل بيتي فُتحت له أبوابُ السماء، وصلَّت عليه الملائكة سبعين صلاةً وأنه لمذنب خطى، ثمّ تَحاتُّ[٢] عنه الذنوب كما يتحاتُّ الورق عن الشجر، ويقول الله تعالى: لبّيك عبدي وسعديك، يا ملائكتي، أنتم تصلُّون عليه سبعين صلاة، وأنا أصلّي عليه سبعمائة صلاة، وإذا لم يُتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينها وبين السماء سبعون حجاباً، ويقول الله (جلَّ جلاله): لا لبَّيك ولا سعديك، يا ملائكتي لا تُصَعِّدوا دعاءه إلاَّ أن يُلْحقَ بالنبيِّ وعِترته، فلا يزال محجوباً حتّى يُلحقَ فيَّ أهل بيتي**»[٣].

تساؤل عن المقام الأمجد والمتلقى المؤكَّد

لماذا كان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في حقيقته الروحيّة أوّل الأنوار؟!!

---

(١) الفيروزآبادي، فضائل الخمسة، ج٢، ص ٨٩.
(٢) تَحاتُّ: تتساقط (أصلُها: تتحاتُّ).
(٣) المشهدي، تفسير كنز الدقائق، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ج٨، ص ٢١٩.

ما سرُّ أنّ علياً عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام هم الأنوار التالية للنور المحمّد ي؟!!

كيف نفسِّر كون علوِّ آدم بحمل أسمائهم، وتوبته بالدعاء بهم؟!!

ما هو سبب مرافقتهم عليهم السلام لنوح عليه السلام بمسامير تحمل أسماءَهم، ولإبراهيم عليه السلام في حبِّه لهم، ولموسى عليه السلام في الدعاء بهم، ولعيسى عليه السلام في سماع قصّتهم؟!!

بماذا امتازوا من غيرهم في منابر النور يوم القيامة؟

أسئلة نجيب عنها، أوّلاً ببيان جانب من سرِّ المقام المحمود لخاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ونعقِّبه ببيان طَرَفٍ من سرِّ الملتقى بين الحبيب المصطفى وآله الذين اصطفى.

سرُّ مقام النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

سرُّ مقام خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم يُعرف من سرِّ خلق الإنسان الذي كشف عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]. فسرُّ الخلق وغايته هُما العبادة لله تعالى التي تشمل كلَّ شؤون الإنسان في هذه الحياة. فالعاقل يبدأ بالتساؤل: كيف يعبدُ الإنسان ربَّه؟ ويجرُّه تساؤله هذا إلى تساؤل آخر: ما هي الطريق التي بسلوكها تتحقَّق العبادة؟ هل يستطيع الإنسان بمفرده أن يتعرّف على هذه الطريق؟ والجواب: كلّا وكلّا!!.

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

فالإنسان قاصر عن إدراك الطريق التي يضمن أن توصله إلى الغاية المنشودة والتي فيها مصلحته المرادة في الدنيا والآخرة.

إذاً ما العمل؟!!

لا بدَّ من أن يعرِّفنا الله تعالى على طريق السعادة هذه بوساطة مرشدٍ إليها. وهناك ندرك ضرورة الرسالة والرسول، وننظر في تاريخ الإنسانيّة فنجد رسالات إلهيّة عديدة قد أقرَّها القرآن الكريم.

لماذا هذا التعدُّد؟ ألا يكفي للبشريّة رسالة واحدة ينزلها الله مع النبيّ، ويعمل بها الناس إلى آخر إنسان؟!!

كلّا!! إنّ المجتمع لم يكن منذ نشوئه، بل حتى بعد مراحل من تكوُّنه، مهيَّأً لرسالة واحدة خالدة، كان لا بدَّ في المجتمع الأوّل من رسالة تتلاءم معه، وحينما يتطوَّر ذلك المجتمع، تُرسَل الرسالة الأكمل لتلائمه، وتمهِّد الرسائل بعضها لبعض، وتكون جميع هذه الرسائل ممهِّدة للرسالة الخالدة التي تواكب الإنسان إلى يوم القيامة، وفي هذه الرسالة الكاملة الخالدة يكمن سرُّ الخلق.

فهذه الرسالة هي التي ترسم أرقى معالم الصِّراط الإلهيِّ السويِّ الذي يوصل الإنسان إلى سعادته الحقيقيّة.

وكانت رسالة الإسلام المحمّديّة هي تلك الرسالة الخالدة التي مهَّدت لها الرسالات السابقة.

وحامل هذه الرسالة هو الذي يحقّق الغاية الإلهيّة لخلق الإنس

والجنِّ، ومن حمل الرسالات السابقة كانوا يمهِّدون له ولرسالته. ومن تكون هذه وظيفته وهذا دوره لا بدّ أن يكون أكمل بشريّ على الإطلاق، من هنا كان الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**أنا سيّد بني البشر**».

وهذا ما يُفهمنا مقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من عالم الأنوار إلى يوم القيامة. لكن يبقى السؤال عن:

سرِّ الملتقى بين محمّد وآله

فلماذا اقترنت أسماء عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام باسم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم على طول الطريق من أوّل الخلق إلى مستقبل البشريّة المقبل؟

وفي رسالة الإسلام يكمن الجواب.

فالإسلام - بلا شكّ ولا ريب - هو دين كامل قد أخبر الله عن كماله بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1].

لكن نتساءل: بماذا أكمل الدين وتمَّت الشريعة؟

هل القرآن وحده هوالذي أكمل الدين؟

إنَّ المطَّلِعَ على القرآن الكريم يعلم أنّه تحدَّث عن عمومات في الشريعة وعن جملة من تفاصيلها، لكنّه لم يذكر كثيراً من التفاصيل كعدد ركعات الصلوات وغير ذلك.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

إذاً لا بد من عنصر آخر غيرالقرآن لينضمّ إلى القرآن في عمليّة إكمال الدين، وهنا يأتي دور السُّنَّة النبويّة الشريفة التي قامت بدور بيان تفاصيل الشريعة الإسلاميّة.

إلاّ أنّ إلقاء نظرة فاحصة على مرحلة تبليغ هذه السّنَّة الشريفة يوقفنا أمام أمر مهمٍّ جدّاً، فمرحلة تبليغ السنّة النبويّة دامت ثلاثاً وعشرين سنة قضى منهاالنبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثَ عشرةَ سنةً في مكّة وعشرَ سنوات في المدينة المنوّرة.

أمّا في السنوات المكّيَّة الثلاثَ عشرة فلم يؤمن بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلاّعدد قليل لم يتجاوز عددهم أربعمائة مسلم على الأكثر[1].

وكان أغلبهم من المستضعفين المضطهدين ممَّا أدّى إلى هجرة الكثير منهم (٧٠ عائلة) إلى الحبشة مرّتين، وبالتالي انفصالهم المباشر عن تلقّي الدعوة الإسلاميّة من النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي هذه السنوات المكّيَّة كان المشركون يضيِّقون على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين الباقين معه تضييقاً شديداً، ويمنعونه من تبليغ دعوته للآخرين حتى وصل الأمر بهم إلى محاصرته مع جملة من الهاشميّين في شِعْبِ أبي طالب ثلاث سنوات حيث كانت المجاعة الشديدة...

إنّ الناظر في هذا المرحلة المكّيَّة يُدرك بوضوح أنّ الفرصة لم تسنح للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ تبليغ أساسيّات الاعتقادات والبعض القليل من جوانب الشريعة كما يُلاحظ القارىء للآيات القرآنيّة النازلة في مكّة.

(١) انظر: المطهري، الإمامة، ترجمة كشّار، منشورات أم القرى، قم، ط ١، ص ٧٧.

وممّا يؤكّد هذا الواقع أنّ فريضة الصوم، وهي من أوائل فروع الدين، لم تنزل في مكّة بل في المدينة.

وانتهت هذه السنوات المكّيّة بهجرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى يثرب ليقضي فيها عشر سنوات كانت مليئة بالحروب والغزوات وما شابه، إضافة إلى الخلافات التي حصلت بين القبائل من داخل المجتمع الإسلاميّ الجديد. وقد سجّل التاريخ في الفترة المدنيّة النبويّة وقوع أكثر من ثمانين معركة وغزوة وإرسال سرايا وما شابه، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو القائد العسكريّ المباشر لها.

ومن والواضح أنّ هذه الحروب والغزوات شكّلت معوّقات أمام تبليغ تفاصيل الشريعة الإسلاميّة والسنّة النبويّة الشريفة.

يقول الشهيد المطهّري: «**وإذا أردنا أن نغضّ النظر عن الواقع الكائن في مكّة والمدينة، ونفترض أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلك في هذه السنوات الثلاث والعشرين من البعثة نهج المعلّم الذي لا شأن له إلاّ الذهاب إلى الصفّ وتعليم الناس، فمع ذلك لم يكن هذا الوقت وافياً كي يُبيّن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للناس جميع ما ينطوي عليه الإسلام، فكيف إذا أضفنا لذلك التاريخ القائم (الذي امتصّ جلّ أوقات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم) خصوصاً بشأن دين كالإسلام يبسط حاكميّته على جميع شؤون حياة البشر؟**»[1].

(١) الإمامة، ترجمة كسّار، منشورات مؤسسة أم القرى، قم، ط١، ص٧٧.

الحلّ= ولاية الحُجَج عليهم السلام

إذاً لا بدَّ من حلٍّ يتسنَّى من خلاله للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلِّغ ويحفظ سنَّته الشريفة التي تمثّل مع القرآن الكريم توأم التشيُّع الكامل.

فكان الحلّ الإلهيّ يتمثّل بتربية إلهيّة لشخصٍ استثنائيّ يكون وعاءً لعلم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومستودعاً لسنَّته وحافظاً للدين الحنيف. وكان هذا الشخص هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكان محلَّ الفيض الإلهيّ والتعليم النبويّ.

وهذا ما يعطينا التفسير الواضح لتلك الجلسات الطويلة بين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام وتلك الملازمة الشديدة بينهما التي كان يعبِّر عنها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**ولقد كنت أتبعه اتّباع الفصيلِ أثَرَ أُمّه**»، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما يخبر عنه علي عليه السلام: «**إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجابني وإن فنيت مسائلي ابتدأني**»[1].

وأكَّدت الروايات أنّ هذا التعليم الخاصّ كان بأمر إلهي، فقد روى أبو نُعَيْم الحافظ الشافعي (ت ٤٣٠هـ) بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا علي، إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن أدنيك وأعلّمك لتعيَ وأنزلت هذه الآية (وتعيها أذن واعية) وأنت أذن واعية للعلم**»[2].

---

(١) الصفار، بصائر الدرجات، منشورات بصيرتي، قم، ص ١٩٨.
انظر: كتابنا «حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة» منشورات دار الصفوة، بيروت، ط١.

(٢) حلية الأولياء، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ، ج١، ص٦٧.
- الجويني (ت ٧٣٠هـ)، فرائد السمطين، تحقيق المحمودي، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ، ج١٣، ص ١٣٦.
- العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) كشف اليقين، تحقيق علي آل كوثر، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ط ١، ص ٥٢.
- انظر: كتابنا (حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة»، ص ١٤٦.

ولأجل هذا الدور الإلهيّ في إكمال تبليغ الشريعة الإلهية والسنَّة النبويّة حدَّد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ للشريعة مدخلاً وأنّ لعلمه باباً، من أراد أن يغترف لا بدَّ أن يدخل منه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**»[١].

ولم تكن فترة حياة أمير المؤمنين عليه السلام - لا سيَّما بالظروف التي أحاطت بها - كافية لأداء هذا الدور الكبير في إكمال تبليغ السُنَّة النبويّة، فخزَّن أمير المؤمنين عليه السلام تفاصيل الشيعة الطاهرة في الحسن والحسين عليهما السلام ليكونا المرجع التشريعيَّ - بالمعنى المتقدّم - للناس، وهذ ما يكشف لنا سرَّ قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الذي اشتُهر به: «**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**»[٢].

وشاءت الإرادة الإلهيّة أن تنتقل هذه السنَّة المطهّرة من صدور طاهرة بعد أن يقوم كلّ إمام بدوره الرائد، فأودع الحسين عليه السلام علوم الإسلام في ابنه زين العابدين عليه السلام وهو في الباقر، والباقر عليه السلام في الصادق عليه السلام، والصادق عليه السلام في الكاظم عليه السلام، والكاظم عليه السلام في الرّضا عليه السلام، والرّضا عليه السلام في الجواد عليه السلام، والجواد عليه السلام في الهادي عليه السلام، والهادي عليه السلام في العسكري عليه السلام، والعسكري في قائم أهل البيت الحُجّة المهديّ عجل الله فرجه الشريف

---

(١) الترمذي (ت ٢٩٧هـ)، الجامع الصحيح، منشورات دار إحياء التراث، بيروت، ج٥، ص ٦٣٧.
- الحلي، كشف اليقين، ص ٥٧، الأربلي، كشف الغُمَّة، منشورات دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ج١، ص ١١٣، الهندي، كنز العمال، ج١٣، ص ١٤٨، القندوزي، ينابيع المودة، منشورات الأعلمي، بيروت، ص٧٠.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠، ص ٧٨.

لتكتمل به سلسلة النور، وليكون أئمَّة أهل البيت عليهم السلام مع القرآن توأم التشريع الذي خلَّفه رسول الله وأمر أمته بالتمسّك به حينما قال: «**إنّي تارك فيكم الثَّقلَيْن كتاب الله وعترتي أهل بيتي (ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً) ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[1].

سرُّ الملتقى

فكما كانت عظمة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم - في أحد جوانبها - أنَّه حمل الرسالة الخالدة التي هي طريقٌ لتحقيق غاية الخلق، كانت عظمة أهل بيته، ومنهم الحسين عليه السلام في حفظ هذه الرسالة وإكمال تبليغها.

لذا كان لهم الموقع النورانيّ يوم القيامة.

لذا دعا بأسمائهم أنبياء الله من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام.

لذا رفض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يُصَلَّى عليه دونهم.

لذا كانوا الأنوار التالية لنوره.

لذا كان الحسين عليه السلام هوالنور الخامس.

---

(١) الطبري، المسترشد، تحقيق المحمودي، منشورات مؤسّسة الثقافة الإسلامية، قم، ص ٥٦٠، انظر: كتاب «حديث الثقلين» الذي طبع في القاهرة من قبل دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، وقد جمع فيه أسانيد هذا الحديث في كتب أهل السنّة.

المحاضرة الثانية

الحسين عليه السلام

في بيت عليّ عليه السلام

الحسين عليه السلام في بيت علي عليه السلام

قبل الولادة

من الثابت أنّ للوراثة دوراً مهمّاً في تكوين شخصيّة الإنسان، وقد توافقت النصوص الدينيّة مع الاكتشافات العلميّة الحديثة في هذا المجال، فقد ورد في الحديث المعروف «**العرق دسَّاس**» وجاء هذا المضمون على لسان علماء الوراثة ك(مِنْدِلْ)[١] الذي قال: «**إنَّ كثيراً من الصفات الوراثيّة تنتقل بدون تجزئة أو تغيّر من أحد الأصلَيْن أو منهما إلى الفرع**»[٢].

وفي بيت الإمام عليّ عليه السلام ثلاثة نماذج لعب العِرق فيها دوراً بارزاً:

النموذج الأوّل: محمّد بن الحنفيّة الذي ورد أنّ أباه أمير المؤمنين عليه السلام طلب منه يوم الجمل أن يحمل على القوم، فتوقّف قليلاً، ثم كرَّر عليه أبوه الإمام عليه السلام قائلاً له: «**إحمِل**»، فأجابه: يا أمير المؤمنين، أما ترى السهام كأنّها شآبيب المطر؟!! فدفعه الإمام في صدره وقال له: «**أدركك عِرقٌ من أُمِّك**»[٣].

---

(١) يومنْضاً مِنْدِلْ: Mendel: (١٨٢٢ - ١٨٨٤). عالم نبات نمساوي.

(٢) القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام، منشورات دار الكتب العلمية، قم، ج١، ص ٤٣.

(٣) انظر: الأمين، أعيان الشيعة، منشورات دار التعارف، بيروت، ج١، ص ٤٥٧.

النموذج الثاني: أبو الفضل العبّاس وأخوته الذين أراد لهم أبوهم الإمـام عليّ عليه السلام أن يكونوا من أنصار أخيهم الحسين عليه السلام في كربلاء، فسأل عن امرأة تنتسب إلى بيت شجاعة وإقـدام ليجدها في أُمّهم أمّ البنين، فقد ورد عن كتاب عمدة الطالب أنّ أمير المؤمنين قال لأخيه عقيل - وكان نسَّابة عالماً بأخبار العرب وأنسابهم - : أبغني امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب؛ لأتزوَّجها فتلد لي غلاماً فارساً. فقال له: أين أنت من فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابيّة، فإنّه ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس. فتزوّجها أمير المؤمنين عليه السلام، فوُلد له وأنجبت وأوَّل ما ولدت العبّاس»[١].

النموذج الثالث: الحسن والحسين عليهما السلام اللّذان جمعا كمال الوراثة.

فأبوهما: عليّ عليه السلام النور الثاني في عالم الأنوار، والمولود الأوّل في بيت الله الحرام، والذي قال فيه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ، لو لا أنّي أخشى أن تقول فيك فئة من الناس ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالةً، ألّا تمرَّ على أحد من الناس إلاَّ وأخذوا التراب من تحت قدميك»[٢].

وأُمُّهما: فاطمة الزهراء: النور الثالث في عالم الأنوار، تكوَّنت

(١) الأمين، أعيان الشيعة، ج٧، ص٤٢٩.

(٢) الحسني، سيرة الأئمّة الاثني عشر، منشورات الشريف الرضي، قم، ج١، ص ١٤١.

نطفتها من ثمرة شجرة الجنّة طوبى»[١]، سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين[٢].

إنْ قيل حوّا، قلتُ فاطمَ فَخْرُها
أو قيلَ مريمُ قلت فاطمَ أفضلُ
أَفَهل لمريمَ والدٌ كمحمَّد؟!
أم هل لمريمَ مثلٌ فاطمَ أَشْبُلُ؟![٣]

الحسين عليه السلام المولود

وفي شهر شعبان ولد الإمام الحسين عليه السلام، وكان يوم الفرح الأكبر لولا دمعةٌ انسكبت من عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي احتضن سبطه الحسين وأخذ يبكي، قالت له أسماء: فداك أبي وأمي ممَّ بكاؤك؟!! فأجابها صلوات الله عليه وآله: «**من ابني هذا! تقتله الفئة الباغية من بعدي لا أنالهم الله شفاعتي**»[٤].

واحتضن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حسيناً ليُسمعَه من فمه المبارك أوّل كلمة في الحياة الدنيا.

ما هي هذه الكلمة؟!

أدنى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فمه الطاهر ناحية أذن الحسين اليمنى، وقال:

---

(١) انظر: المازندراني، الكوكب الدرّي، منشورات الشريف الرضي، قم، ص١٢١.
(٢) المصدر السابق، ص ١٣٣.
(٣) المصدرالسابق، ص ١٣٤.
(٤) انظر: القرشي، حياة الإمام الحسين، منشورات دار الكتب العلمية، قم، ج١، ص ٢٧.

«**الله أكبر، الله أكبر**» فأذّن فيها ثم أقام في أذنه اليسرى[١]، فكانت كلمة «**الله**» أوّل كلمة دخلت أذن الحسين عليه السلام، وقد ورد في الخبر أنّ ذلك عصمة للمولود من الشيطان الرجيم[٢].

تسمية الحسين عليه السلام

واختار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لسبطه اسم الحسين عليه السلام، وقال المؤرّخون: لم تكن العرب في جاهليّتها تعرف هذا الاسم، وإنما سمّاه النبيّ به بوحي من السماء[٣].

وهو صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يردِّد: «**من حقّ الولد على الوالد أن يحسّن اسمه وأدبه**»[٤].

وهذا درسٌ لنا في تسمية أولادنا بأحسن الأسماء، وأيُّ الأسماء أحسن من أسمائهم أهل البيت، وقد جاء أحدهم عند الإمام الصادق عليه السلام وقال له: جعلت فداك إنّا نسمي بأسمائكم وأسماء آبائكم، فينفعنا ذلك؟

فقال عليه السلام: أي والله وهل الدين إلاَّ الحبّ؟! قال الله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٥].

---

(١) المصدرالسابق، ص ٣٠.
(٢) انظر: الطفل نشوؤه وتربيته، إعداد مؤسسة البعثة، قم، ص ٦٥.
(٣) القرشي، حياة الإمام الحسين، ص ٣٠.
(٤) الطفل نشؤوه وتربيته، ص ٩٣.
(٥) المجلسي، بحار الأنوار، منشورات مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٣، ج ١٠٤، ص ١٣٠.

غذاء الحسين عليه السلام

واشتدَّت العَلاقة الحميمة بين النبيّ صلى الله عليه وآله وسبطه الحسين عليه السلام حينما مرضت أمُّه فاطمة عليها السلام بعد أن أولدته وجفَّ لبنها، فكان النبيّ صلى الله عليه وآله يأتيه، فيضع إبهامه في فمه، فيمصّ منه الحسين عليه السلام، كما كان النبيّ صلى الله عليه وآله يجعل لسانه في فمه ليغذِّيَه بريق النبوّة وهو يقول:

«إيهاً حسين، إيهاً حسين، أبى الله إلاَّ ما يريد هو (أي الإمامة) فيك وفي وُلْدك»[١].

وفي هذا يقول الشاعر:

ذادوا عن الماء ظمآناً مَراضِعهُ
من جدِّه المصطفى الساقي أصابعُه
يعطيه إبهامَه آناً وآونةً
لسانَه فاستوت منه طبائعُه
غرسٌ سقاهُ رسولُ الله من يده
وطابَ من بعدِ طيبِ الأصلِ فارعُه[٢]

وحرص النبيّ صلى الله عليه وآله على غذاء الحسين عليه السلام فكان يتابعه بدقة، فقد ورد أنّ تَمْرَ صدقة أُتي به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فاقترب الحسين نحو التمر، فإذا بالنبيّ صلى الله عليه وآله يتدخَّل قائلاً للحسين عليه السلام: **«لا تَحِلُّ لنا الصدقة»**[٣].

---

(١) انظر: القرشي، حياة الإمام الحسين، ج١، ص ٣٤.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

وكلام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هذا إشارة منه إلى تأثير الغذاء المحرَّم على مستقبل الطفل. من هنا حرص الإسلام على أن يكون طعام الأطفال من الحلال الطاهر لما له من أثر إيجابيّ في البناء الروحيّ للإنسان.

وهذا ما تحكيه لنا قصّة الشريفين المرتضى والرضيّ حينما اقتسما ميراث أبيهما بعد موته، فبقي كتاب واحد لهما، فقال الشريف الرضيّ - وهو جامع نهج البلاغة - لأخيه وهو يحاول أن يكون الكتاب له: «**إنّ هذاالكتاب يكون لمن لم يفعل حراماً في حياته**»، وأراد أن يأخذ الكتاب، ففاجأ أخوه السيِّد المرتضى - وهو مرجع الشيعة في عصره - إنّ هذا الكتاب يكون لمن لم يفكِّر في حياته بفعل الحرام، فأنا آخذه».

وحينما نرجع إلى تاريخ هذين العظيمين لندرس عوامل تربيتهما نجد أنّ أمَّهما كانت لا ترضعهما إلاَّ عن وضوء، وهذا ما يؤكّد أنّ الغذاء الطاهر، والآداب المعنويّة في التربية لها الأثر الكبير في مستقبل الأولاد.

يقول الشاعر، وهو يصف تأثير أمّه المؤمنة في ولائه لأهل البيت عليهم السلام:

لا عـــذَّبَ اللهُ أُمِّـــي إنَّـــهـــا شـــربَـتْ
حـــبَّ الـوصـــيِّ وغـذَّتـنـيـهِ بـالـلَّـبـنِ
وكـــان لـــي والـــدٌ يـهـوى أبـــا حســنٍ
فـصـرتُ مـن ذي وذا أهـوى أبـا حسنِ

رفيق الحسين عليه السلام في طفولته

وكان الحسين الطفل كلّما كبر كلّما زاد تعلُّق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به، فكان يراقبه حينما يلعب مع الأطفال، إذ يُروَى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يوماً مع جماعة من أصحابه مارًّا في بعض الطرق، وإذا هُم بصبيان يلعبون، فجلس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عند صبيٍّ منهم، وجعل يقبِّل ما بين عينيه، ويلاطفه، ثمّ أقعده في حجره، وهو مع ذلك يكثر تقبيله، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله، لا نعرف هذا الصبيَّ الذي شرَّفته بتقبيلك وجلوسك عنده، وأجلسته في حجرك، ولا نعلم ابن من هو. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا أصحابي لا تلوموني فإنّي رأيت هذا الصبيَّ يوماً يلعب مع الحسين عليه السلام ورأيته يرفع التراب من تحت قدمَيْه، ويمسح به وجهه وعينيه مع صغر سنّه، فأنا من ذلك اليوم بقيت أحبُّ هذا الصبيَّ حيث إنّه يحبّ ولدي الحسين عليه السلام، فأحببته لحبِّ الحسين عليه السلام، وفي يوم القيامة أكون شفيعاً له ولأبيه ولأمّه كرامة له، ولقد أخبرني جبرئيل أنّه يكون هذا الصبيّ من أهل الخير والصلاح، ويكون من أنصار الحسين في وقعة كربلاء، فلأجل هذا أحببته وأكرمته»[1].

الحسين عليه السلام في سورة الدهر

وترعرع الحسين عليه السلام في البيئة الطاهرة تحت رعاية الأنوار

---

(١) التستري، الخصائص الحسينية، تحقيق الحسني، منشورات أنوار الهدى، قم، ص ١٦٧، المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٢٤٢.

الثلاثة الأولى محمّد ﷺ وعليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام، وشاء الله تعالى أن يُعرِّف الناس كرامته حينما بشَّره بالجنّة وهو طفل صغير، وذلك حين مرض الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام فنذر أبوهما عليّ وأمُّهما فاطمة، إن عافاهما الله، أن يصوما ثلاثة أيّام، وكذا فعل الحسن والحسين عليهما السلام مع صغر سنّهما، واقتدت بهم خادمتهم فضّة.

وحينما برئا، أصبحوا صياماً وليس عندهم طعام، فانطلق عليّ عليه السلام إلى يهوديّ وأخذ منه جزّة من صوف على أن تغزلها السيّدة الزهراء عليها السلام مقابل ثلاثة أصوُع من الشعير، فغزلت عليها السلام ثلث الصوف ثمّ طحنت صاعاً من الشعير وعجنته، وخبزت منه خمسة أقراص، فلما جلسوا خمستهم ليتناولوا الطعام إذا مسكين على الباب يقول: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، أنا مسكين من مساكين المسلمين أطعموني ممّا تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنّة، فوضع عليّ عليه السلام اللّقمة من يده وأعطى قرصه للمسكين، وكذا فعلت فاطمة عليها السلام وكذا فعل الحسنان عليهما السلام، فباتوا جياعاً وأصبحوا صياماً، ولم يذوقوا إلاَّ الماء. وفي اليوم الثاني غزلت السيدة فاطمة عليها السلام ثلث الصوف الآخر وطحنت صاعاً من الشعير وعجنته وخبزته خمسة أقراص، فلمّا جلسوا خمستهم ليتناولوا الطعام إذا يتيم على الباب يقول: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون

أطعمَكم الله من موائد الجنّة، فدفع جميعهم الطعام إلى هذا اليتيم وباتوا جياعاً وقاموا صياماً، وتكرَّر المشهد في اليوم الثالث حينما وقف على الباب أسيرٌ من أسرى المشركين يقول: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، تأسروننا وتشدّوننا ولا تطعموننا، ففعلوا كما فعلوا بالأمس وقبله، وباتوا جياعاً، واستيقظوا ليأتي إليهم نبيُّ الإسلام بالبشرى الكبرى وهو قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا *إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم ولقاهم نضرةً وسروراً * وجزاهمبما صبروا جنةً وحريراً...﴾[1].[2]

الحسين عليه السلام في آية المباهلة

وأراد الله تعالى أن يعرِّف الناس كرامة الحسين عليه السلام وهو صغير حينما جاء وفدٌ من نصارى نجران ليناظروا النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد حديث بينهم وبين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اتفقوا على الإبتهال أمام الله ليجعل تعالى لعنته على الكاذبين، وعيَّنوا لذلك وقتاً محدَّداً... وفي ذلك الوقت خرج السيّد النصرانيّ والعاقب بولديهما وعليهما الحُلِيُّ والحُلَلُ ومعهم نصارى نجران، واحتشدت الجماهير لتنظر وفد المسلمين فإذا بهم يرون نبيّ الإسلام قد أقبل وهو يحتضن

(١) انظر: المشهدي، تفسير كنز الدقائق، ج١١، ص١١٦ - ١١٨.
(٢) سورة الإنسان، الآيات: ٧-١٢.

الحسين عليه السلام، ويمسك بيده الأخرى الحسن عليه السلام وخلفه الإمام عليّ عليه السلام والسيّدة الزهراء عليها السلام وهو يقول لوفد النصارى: «أبُاهلكم بخير أهل الأرض، وأكرمهم إلى الله».

فرجعوا إلى زعيمهم الأسقف يستشيرونه في الأمر، فقال لهم: «أرى وجوهاً لو سأل الله بها أحدٌ أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله».

فأسرعوا إلى النبيّ قائلين: «يا أبا القاسم، أقِلْنا أقال الله عَثْرتك»[1].

ووثّق القرآن هذه الحادثة العظيمة بقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فيه من بَعْد مَا جَاءكَ منَ الْعلْم فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنسَاءنَا وَنسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهلْ فَنجْعَل لَّعْنَةُ الله عَلَى الْكَاذبينَ﴾[2].

الحسين عليه السلام تحت كساء العِصْمة

واستمرت العناية الربّانية بالحسين عليه السلام الطفل حينما قدمت أمه الزهراء فاطمة عليها السلام إلى أبيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لها صلى الله عليه وآله وسلم: «ادعي زوجك وابنيك» فجاءت بهما ليجلّلهم بكساء ويقول: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي أذهِبْ عنهم الرّجسَ وطهّرهم تطهيراً»[3].

---

(١) انظر: القرشي، حياة الحسين، ص ٧٠ - ٧٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٠.
(٣) الفيروزآبادي، فضائل الخمسة، ج١، ص ٢٧١.

ويتلو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم آية العصمة التي أخبرت عن عصمة الحسين وأبيه وأمّه وأخيه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

الحسين عليه السلام في صباه: أسلوب الدعوة

ومضت الأيّام ليظهر الحسين عليه السلام على مسرح الحياة وهو صبيّ يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فقد رُوي أنّ الحسن والحسين عليهما السلام رأيا أعرابيّاً يتوضّأ بشكل خاطىء، فتقدّما وطلبا منه أن يشرف على وضوئيهما ليعرفا أيّ الوضوءين أحسن! فقال الحسين عليه السلام للأعرابي: «**أيّنا يحسن الوضوء؟ فأجاب الأعرابي: كلاكما تحسنانه، روحي لكما الفداء، ولكن أنا الذي لا أحسنه**»[2].

يُعلّمنا الحسين عليه السلام في هذه القصة كيف ندعو إلى الله تعالى بما يُقرِّب الآخرين إلى الإسلام بالأسلوب الهادىء الحكيم، لا كما يفعل بعض الناس الذين يُنفّرون الناس من الدين والإيمان، كذلك الشخص المسلم الذي أسلم جاره النصرانيّ وبعد إسلامه طرق عليه بابه عند الفجر ففتح الباب متفاجئاً، ما الأمر؟ فطلب منه المسلم أن يذهبا إلى المسجد لأداء صلاة الفجر، فذهبا وبعد الصلاة أراد من كان نصرانيّاً الرجوع إلى بيته، إلاّ أنّ جاره أصرَّ عليه أن يقرأ القرآن لا سيّما أنّ الوقت بين الفجر وطلوع الشمس من

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) التستري، الخصائص الحسينية، ص ١٧١.

الأوقات المباركة... طلعت الشمس لكنّ جاره لم يدعه يذهب إلى بيته إذ أخذ يلقّنه أدعية مستحبّة في ذلك الوقت إلى أن جاء وقت صلاة الظهر فصلّى، وحين همَّ بالذهاب إلى بيته استبقاه جاره في المسجد لقراءة بعض الأدعية حتى يأتي وقت صلاة العصر، وحلّ وقت العصر، وأبى جاره إلاَّ استبقاءه لصلاة المغرب ولم يدعه يرجع إلى بيته إلاَّ بعد صلاة العشاء.

وفي اليوم التالي جاء المسلم عند الفجر، وطرق باب جاره «**النصرانيّ سابقاً**»، ففتح له الباب، وسأله: ما الأمر؟ فطلب منه الذهاب معه إلى المسجد، لكنَّه تفاجأ حينما أجابه النصرانيّ: «**اذهب يا هذا، وابحث لدينك عن رجل غيري، فإنّي رجل ذو عيال**».

وقد ورد أنّ أحدهم روى هذه القصّة للإمام الصادق عليه السلام الذي علَّق عليها بأنّ من أدخله في الإسلام هو الذي يتحمَّل مسؤوليّة خروجه منه.

من أخلاق الحسين عليه السلام

وكبر الحسين عليه السلام ليتجلَّى فيه خُلُق النبيّ صلى الله عليه وآله وأدب عليّ عليه السلام وجلال فاطمة عليها السلام، فكان العابد الذي يقضي أكثر أوقاته مشغولاً بالصلاة والصوم، حتى قال عنه ابن الزبير: «**أما والله لقد**

قتلوه طويلاً بالليل قيامه كثيراً في النهار صومه»[١].

وكان الحليمَ عند القدرة، فقد ورد أنّ بعض مواليه جنى جناية توجب التأديب فأمر الحسين عليه السلام بتأديبه.

فانبرى العبد قائلاً:

- يا مولاي: إن الله تعالى يقول: «**الكاظمين الغيظ**».
- فقال الحسين عليه السلام: «**خلّوا عنه، فقد كظمت غيظي**».
- فسارع العبد قائلاً: «**والعافين عن الناس**».
- فأجابه الحسين عليه السلام: «**قد عفوت عنك**».
- فطلب العبد المزيد بقوله: «**والله يُحبُ المحسنين**».
- فإذا بالحسين عليه السلام يفصح عن أخلاقه النبويّة بقوله: «**أنت حرٌ لوجه الله**».

ثمّ أمر بجائزة سنيَّة تغنيه عن الحاجة ومسألة الناس[٢].

هذا هو الحسين عليه السلام وهذه هي أخلاق الحسين عليه السلام فلنتَّخذ منه القدوة، ومن أخلاقه قبس الإهتداء.

---

(١) القرشي، حياة الحسين، ج١، ص ١٣٣.

(٢) القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج١، ص ٢٤.

المحاضرة الثالثة

لماذا ثار الحسين عليه السلام؟

لماذا ثار الحسين عليه السلام؟

تربة كربلاء والقداسة

❖ مهما تَدْعُ الله بحنين وأنين، فإنّ هناك حُجُباً سبعة، يمثّل كلٌّ حجاب ذنباً من ذنوبك يمنع من استجابة دعائك، فإذا أردت أن تخرق الحُجُبَ السبعة لتنفتح لك أبواب الإجابة، فاسجد على تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام فإنّها تخرق الحُجُب السبعة.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**السجود على تربة الحسين عليه السلام يخرق الحجب السّبعة**»[1].

❖ احمل سُبْحة وانتقِ حباتها من تربة قبر الحسين عليه السلام، وأَدِرْها في يدك من دون أن تقول شيئاً، فإن الله يعطيك أجر التسبيح ببركة تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**السُّبحة التي هي من طين قبر الحسين عليه السلام تسبّح بيد الرجل من غير أن يسبّح**»[2].

❖ إذا أردت الأمان لوُلْدِك فحنِّكهم بتربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠١، ص ١٣٥.
(٢) المصدر السابق، ص ١٣٣.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**حنّكوا أولادكم بتربة الحسين عليه السلام فإنّه أمان**»[١].

❖ وإذا أردت حرزاً للمخاوف فاحمل تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**أين أنت عن طين قبر الحسين بن علي عليه السلام فإنّ فيه... أمناً من كلّ خوف**»[٢].

❖ وإذا أردت شفاءً لنفسك فإيّاك أن تأكل من طين تربة أفضل النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فقد حرَّم الله ذلك عليك.

وإيَّاك أن تأكل من طين تربة سيّد الوصيّين عليّ عليه السلام فقد حرَّم الله ذلك عليك.

لكنْ كُلْ قليلاً من طين تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقد جعل الله فيه الشّفاء لنفسك.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كلّ داء**»[٣].

❖ حلِّق في آفاق السماوات لعلَّك تسمع الحور العين تنتظر ملائكة الله الصاعدين من الأرض تتلقّى منهم الهديَّة ألا وهي تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ففي الرواية أنّ الحور العين إذا أبصرن بواحد من الأملاك

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠١، ص ١٢٤.
(٢) المصدرالسابق، ص ١١٨.
(٣) المصدر السابق، ص ١٢٩.

يهبط إلى الأرض لأمرٍ ما، يستهدين منه السُّبَحَ والتربة من طين قبر الحسين عليه السلام[١].

سرُّ قداسة التربة

ماذا حدث في كربلاء؛ لتخرق تُربتُها الحجب السبعة؟!!

ماذا حدث مع الإمام الحسين عليه السلام لتُصبحَ تربة قبره حرزاً وأماناً وهديّة للحور العين؟!!

إنّ ما حدث هو ثورة الحسين عليه السلام التي تكمن عظمتها في سرِّها وسببها.

سبب ثورة الحسين عليه السلام

وها هو الحسين عليه السلام يتحدّث عن دوافع ثورته في وصيّته لأخيه محمّد بن الحنفيّة حينما أراد الخروج:

«إنّي لم أخرج أَشِراً ولا بَطِراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جَدّي وأبي عليّ بن أبي طالب»[٢].

يصرّح الإمام الحسين عليه السلام في وصيّته هذه بأنّ دافع ثورته عنوان «**الإصلاح**»، وهذا يعني أنّ هناك انحرافاً حدث في المجتمع

---

(١) المصدرالسابق، ص ١٣٤.

(٢) المقرَّم، مقتل الحسين عليه السلام منشورات دار الثقافة، قم، ص ١٣٩ - مقتل الحسين للخوارزمي، ج١، ص ١٨٨، نقلاً عن الملحمة الحسينية للشهيد المطهري، ج٢، ص ٢٦.

الإسلامي أراد الحسين عليه السلام إصلاحه، وهنا يشير الإمام الحسين عليه السلام إلى انحرافَيْن أساسيَّيْن:

الإنحراف الأوّل: حصل في الأمّة الإسلاميّة، فالحسين عليه السلام قال: «خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي».

الإنحراف الثاني: حصل في القيادة والزعامة، فالحسين قال: «وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام»، وكلمة السيرة إصطلاح يُراد منه المسلك السياسيّ للحاكم، فالإمام الحسين حينما يقول: أريد أن أسير بسيرة جدّي وأبي عليّ... فإنّه يستثني مسلكيّات سياسيّة لقادة حكموا بين النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وبعد عليّ عليه السلام، وبهذا أشار إلى إنحرافات في هذه المسلكيّات السياسيّة.

إنحراف القيادة (سياسة معاوية)

وأبدأ الحديث عن الإنحراف الثاني وبالتحديد الإنحراف القياديّ الذي حدث في زمن معاوية بن أبي سفيان الذي حكم بعد الإمام عليّ عليه السلام وأراد أن يقضي على النور والهدى والعدل الذي زرعه عليّ عليه السلام بين المسلمين.

واعتمد معاوية في سياسته على عدّة أمور:

١ - سياسة التفريق

فقد أخذ معاوية يزرع الفتنة بين القبائل ليحقّق المقولة

المعروفة «**فرّق تَسُدْ**» وبذلك يفتّت المعارضة التي تعمل ضدّه.

ومن شواهد ذلك ما قاله معاوية لرسوله إلى البصرة يذكّره بذكريات حرب الجمل وقتل عثمان: «**فانزل في مُضَر، واحذَرْ ربيعة وتودَّد الأزد، وانعَ ابن عفّان، وذكّرهم الوقعة التي أهلكتهم ومنْ لِمَنْ سمع وأطاع دنيا لا تَفْنَى وأَثَرَةٍ لا يفقدها**»[١].

٢ - سياسة الإرهاب

فقد كان معاوية ينكّل ويُرهب كلّ من لا يتّفق معه، فكان من أبرز أساليبه القتل وحرق البيوت وسلب الأموال، حيث قُتل في المدينة ومكّة ثلاثون ألفاً عدا من أحرق بالنار[٢]، «**وكان أشدَّ الناس بلاءً أهلُ الكوفة لكثرة من بهم من محبّي عليّ عليه السلام، فقتلهم تحت كلّ حجر ومَدَر، وقطع الأيدي والأرجل، وأعمى العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطرد الكثير منهم وشرَّدهم عن العراق**»[٣].

وقد نقل المؤرخون أنّه شرَّد من الكوفة خمسين ألفاً من أهلها ليغيّر الوضع الدّيموغرافي فيها[٤]، وقد بلغ إرهاب معاوية حدّاً جعل الرجل يفضِّل أن يقال عنه: إنّه زنديق أو كافر، ولا يقال عنه إنَّه من شيعة عليّ[٥].

---

(١) شمس الدين، ثورة الحسين، منشورات دار التعارف، ط ٥، ص ٨٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٦٨ و٧٠.
(٣) المصدر السابق نفسُه.
(٤) المصدر السابق، ص ٧٤.
(٥) المصدر السابق، ص ٦٩.

٣ - سياسة التّضليل الديني

فقد سعى معاوية إلى تخدير الناس باسم الدين ليشلّ بذلك حركتهم الثورية فاشترى بعض علماء السوء لينشروا الأحاديث الكاذبة التي تناسب سياسته، وكانت هذه الأحاديث تُدرَّس في الدواوين والمدارس ليتربّى عليها الجيل الإسلامي القادم، ومن تلك الأحاديث ما رُوي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**مَنْ رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبرْ عليه فإنَّ مَنْ فارقَ الجماعةَ بشبر فمات، إلاَّ ميتةً جاهلية**»[١]، و «**ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمّة وهي جمْع فاضربوه بالسيف كائناً من كان**»[٢].

٤ - سياسة تغيير القدوة

وعلم معاوية أنّ غايته لا تتحقّق إلاَّ إذا استطاع أن يزرع في المجتمع الإسلاميّ قدوة مصطنعة يقتدي بها الناس، ماحياً صورة القدوة التي يريدها الله تعالى، فاشترى العلماء لينشروا الأحاديث الكاذبة عن النبي ﷺ التي تصوِّر معاوية القدوة الصالحة للمسلمين، وفعلاً انتشرت بعض الأحاديث التي تصنف في قائمة المهاترات التاريخيّة نذكر منها:

❖ «**إنّ الله ائتمن على وحيه ثلاثاً: أنا، وجبرئيل ومعاوية**».

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٣.
(٢) المصدر السابق نفسُه.

❖ «أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها، ومعاوية حَلَقتُها».

❖ وإنّ النبيّ ناول معاوية سهماً فقال له: «خذ هذا حتى تلقاني في الجنّة»[١].

سياسته تجاه الإمام عليّ عليه السلام

ولم يكتف معاوية بتصوير نفسه بمظهر القدوة الصالحة، بل أعلن الحرب على القدوة الحقيقيّة المتمثّلة أوّلاً برسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وثانياً بأمير المؤمنين علي عليه السلام، لعلمه أنّ الإسلام المحمّديّ الأصيل يتمثّل بهما فأراد القضاء عليهما.

وهكذا انتهج معاوية سياسة تركّزت على النيل من «عليّ» بشكل صاخب ومن محمّد عليه السلام بأشكال أخرى.

ونبدأ بذكر سياسات معاوية تجاه الإمام عليّ عليه السلام.

الحرب ضد علي عليه السلام في القرآن الكريم

لم يكن باستطاعة معاوية أن يحرِّف ألفاظ الآيات القرآنية وقد أكّد الله تعالى أنّه له حافظ، مع أنّ كثيراً من هذه الآيات قد نزلت في بيان مقام عليّ عليه السلام وكرامته عند الله تعالى، لذا أراد معاوية أن يحرِّف دفّة تفسير هذه الآيات فدفع مبالغ طائلة لشراء ضمائر بعض من عُرف بمصاحبته للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فدفع معاوية لسَمُرَة بن جندب ٤٠٠ ألف درهم ليروي أنّ قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن

(١) انظر: شمس الدين، ثورة الحسين، ص ١١٢.

يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ نزل في علي بن أبي طالب عليه السلام، وإنّ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ﴾ قد نزل في عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين عليه السلام[١].

الحرب ضدّ عليّ عليه السلام في السنَّة النبويّة

وكان معاوية يشتدُّ غيظاً كلّما تذكّر الأحاديث النبويّة الواردة في بيان فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكتب نسخة واحدة إلى عمّاله: «**إن برئت الذمة ممَّن روى شيئاً من فضائل أبي تراب وأهل بيته**»[٢].

لعْن عليّ عليه السلام

فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون عليّاً ويَبْرَأُون منه[٣]، فلُعِنَ عليّ عليه السلام من على منبر المسجد الحرام ومن على منبر المسجد النبويّ[٤] ثمانين سنة[٥].

وكان زياد بن سميّة يجمع الناس بباب قصره يحرِّضهم على لعن عليّ عليه السلام فمن أبى عرضه على السيف[٦]. وقد كان كثير من

---

(١) المصدرالسابق، ص ١٠٩ - ١١٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٧٠.
(٣) نفس المصدر السابق.
(٤) العسكري، معالم المدرستين، منشورات مؤسسة البعثة، قم، ج١، ص ٣٦٦.
(٥) الكراجكي، كنز الفوائد، ص ٣٥٠ - ٣٥١.
(٦) شمس الدين، ثورة الحسين، ص ٧٣.

الناس في عيد الفطر والأضحى يفرّون بعد صلاة العيد حتى لا يسمعوا الخطيب يلعن عليّاً عليه السلام فأحدث معاوية تقديم خطبة العيد على الصلاة لكي يسمعَ الناس لعْنَ عليّ عليه السلام[1].

واعتاد الناس أن يلعنوا عليّاً حتى حكم عمر بن عبد العزيز وأصدر أمره بمنع اللعن، إلاَّ أنّ الناس - لا سيّما أهل الشام - لم يتوقّفوا عن اللعن مباشرة، إذ ورد أنّ خطيب الشام وقف يخطب بهم، ولم يُنهِ خطبته باللعن فثارت ثائرة الناس، وقاموا ينادون: «**السنَّة السنَّة تركْتَ السنَّة**».

نعم أضحى لعن عليّ عليه السلام سنَّة بنظر هؤلاء المضلَّلين.

مسجد الذِّكْر

بل ورد أنّ رجلاً قال للإمام زين العابدين عليه السلام: «**إنّا لنحبّكم أهل البيت عليهم السلام**» فأجابه عليه السلام: «**أنتم تُحبّون حسب السنون، من شدّة حبّها لولدها تأكله، أترى هذا عن محبّة ومصافاة وخالص مودّة وموالاة؟ ألم يرَوْا ما فعل قبل ذلك مَنْ لعنَ أميرَ المؤمنين على المنابر... ليس فيها مسلم ينكر حتى أنَّ أحد خطبائهم بمصر نسيَ أن يلعن أميرَ المؤمنين على المنبر في خطبته، وذكر ذلك في الطريق عند منصَرَفه، فلعنه حيث ذَكر قضاءَ لما نسيه، وقياماً بما يرى أنّه فرْض، وقد لزم وبنى**

(١) العسكري، معالم المدرستين، ج١، ص ٣٢٦ - ٣٦٧.

في ذلك المكان مسجداً، وهو باقٍ إلى الآن بسوق وَرَدَ أنّه يُعرَف بمسجد الذِّكْر»[١].

الحرب ضدّ اسم عليّ عليه السلام

وأعلن معاوية وسائر بني أميّة الحرب على اسم عليّ عليه السلام، فمنعوا الناس من تسمية أبنائهم باسم عليّ عليه السلام، بل روى ابنُ حَجَر أن بني أميّة كانوا إذا سمعوا بمولود اسمه «**علي**» قتلوه[٢].

وكان الناس يتقرَّبون إلى الأمراء ببغض عليّ عليه السلام بل ببغض اسم عليّ عليه السلام، فقد جاء أحدهم إلى الحجّاج وقال: «**أيها الأمير، إنّ أهلي عقّوني فسمّوني عليّاً، وإنّي فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجّاج وقال له: للطف ما توسَّلت به وقد ولّيتك موضع كذا...**»[٣].

وأصبح اسم عليّ عليه السلام إرهابيّاً لكثير من الناس، حتى أضحوا يخافون من التلفّظ به حتى فيما يتعلَّق بأحكام الدين فكانوا يقولون «**روى أبو زينب**» أو «**قال الشيخ**»[٤].

من هنا نفهم السرّ في أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد سمّى كلّ أولاده باسم عليّ عليه السلام فكان عنده عليّ الأكبر وعليّ الأصغر (عبد

---

(١) الكراجكي، كنز الفوائد، ص ٣٥٠ - ٣٥١.
(٢) العسكري، معالم المدرستين، ج١، ص ٣٨٥.
(٣) الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص ٢٧.
(٤) شمس الدين، ثورة الحسين عليه السلام، ص ٦٩.

الله الرضيع) وعليّ زين العابدين، وكان يقول: «**لو ولد لي مائة لأحببت أن لا أسمّي أحداً منهم إلاّ عليّاً**»[١].

تأثّر مؤقّت

وقد أثّرت سياسة معاوية في تحريف صورة عليّ عليه السلام برهة من الزمن في أوساط الشاميّين الذين كان معاوية قد هيَّأهم منذ بداية حكمه على بُغض عليّ عليه السلام الذي لا يعرفون من هو، حتى نُقِلَ أنّ الإمام عليّاً عليه السلام حينما استشهد في مسجد الكوفة نادى منادي الشام: قُتل عليّ عليه السلام وهو يصلّي، فاستغرب أهل الشام قائلين: أَوَ كان عليّ عليه السلام يُصلّي؟!!!

العارفون الصامدون

لكنّ معاوية لم يستطع أن يؤثّر في أولئك الذين عايشوا عليّاً عليه السلام وعرفوه عن قرب، رغم قمع معاوية لهم وإرهابه إيّاهم، كما فعل بحُجْر بن عُديّ حينما أُتي به إلى مرج عذراء - وهو أوّل مسلم دخلها فاتحاً - مع أصحابه الموالين لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهناك قال لهم رسول معاوية: «**إنّا قد أُمرنا أن نعرُضَ عليكم البراءةَ من عليّ واللعنَ له، فإن فعلتم هذا تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم**»، فأجابوا: «**لسنا فاعلين**»، فأمر بقبورهم فحُفرت، وأُتي بأكفانهم، فقاموا الليل كلّه يصلّون»، فلمّا أصبحوا، وكرَّر أصحاب

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٥، ص ١٢٨.

معاوية عرّضَهم بالبراءة من عليّ عليه السلام أو القتل فأبَوا البراءة، فقُتلوا وبقي حُجْر وابنه وطلب حُجْر من القوم قبل قتله طلبَيْن:

الأوّل: أن يصلّي ركعتين لله.

الثاني: أن يُقتل ابنه أمامه - إن أرادوا قتله - .

فضُربت عنق ابنه، فقيل لحُجْر: تعجَّلْتَ الثُّكْلَ!

فأجاب: «**خفت أن يَرى ولدي هَوْلَ السيف على عنقي فيرجعَ عن ولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام**»[1].

هل انتصر معاوية في حربه ضدّ عليّ عليه السلام؟

إذا أردتَ معرفة الجواب، فاذهب وزُرْ قبر عليّ عليه السلام في النجف الأشرف لتجد منارات الهدى التي تتهافت إليها قلوب المؤمنين، ثمّ عقّب وزُر قبر معاوية في الشام، لتجده مزبلة من مزابل التاريخ، حينها تدرك كيف انقدحت قريحة ذلك الشاعر (محمّد المجذوب) الذي زار مقام عليّ عليه السلام في النجف ثمّ زار قبر معاوية في الشام فوقف عنده وأنشد يقول:

أين القُصورُ أبا يزيدَ وزَهْوُها ... والصَّافناتُ ولَهْوُها والسؤددُ؟!

أين الدَّهاءُ نحرت عزَّتَه على ... أعتابِ دنيا سِحرُها لا يَنفدُ؟!

هذا ضريحك لو بصرتَ ببُؤسِه ... لأسالَ مدمعَكَ المصيرُ الأسودُ

كُتَلٌ من التُّربِ المَهين بِخربَةٍ ... سَكِرَ الذُّبابُ بها فراحَ يُعربدِ

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة، ج٤، ص ٥٨٠ - ٥٨١.

قُم وارمُقِ النَّجفَ الأغرَّ بنَظرةٍ يَرتدَّ طَرْفُكَ وهو باكٍ أرمَدُ
تِلكَ العِظامُ أعزَّ ربُّك شأنَها فتكادُ لولا خوفُ ربِّك تُعبَدُ

هل استطاع معاوية والأمويّون بعده أن يحُدّوا من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ويمنعوا من انتشارها.

كلّا، لقد ارتدّوا على أعقابهم خاسئين، وهذا سرٌّ من أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، وهو ما عبَّر عنه الخليل بن أحمد الفراهيدي بقوله: «**ما أقول في مَنْ أحجمَ شيعتُه عن التحدُّث بفضائله خوفاً من القتل والتشريد، وكتمَ اعداؤه فضلَه حسداً وبغياً، وظهر من بين ذا وذا ما ملأ الخافقين؟!**»[1].

معاوية والنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

ولم يكن عداء معاوية لعليّ الشخص فحسب، بل كان عداؤه لعليّ الإمام الذي يمثّل الإسلام الحقيقيّ، كان عداؤه للإسلام الذي قضى على حكم آبائه وأرغمهم على أن يعتنقوه، لذا كان معاوية يغتاظ حينما يسمع المؤذّن ينادي «**أشهد أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**»، فقد قال ذات مرّة وهو يسمع صوت المؤذن: إنّ ابن أبي كبشة ليُصاح به كلّ يوم خمسَ مرّات «**أشهد أنّ محمّداً رسول الله**» فأيّ عمل يبقى؟ وأيّ ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك؟ لا والله إلاَّ دفناً دفناً[2].

---

(١) الحسني، سيرة الأئمّة الاثنيّ عشر، ج١، ص ١٤٥.
(٢) العسكري، معالم المدرستين، ج١، ص ٣٧٠.

وحاول معاوية تشويه صورة سيّد بني البشر محمّد ﷺ، وذلك بشراء علماء السوء ليروُوا أحاديث موضوعة تنال من تلك الصورة المقدَّسة، وأخذ يصوِّر النبيّ ﷺ كإنسان يتغلَّب عليه نجد الشرّ، فيغضب ويسبّ الناس، كما في تلك المناجاة الكاذبة المرويّة عن النبي ﷺ: «**إني بشر أغضب كما يغضب البشر، فأيُما مؤمن لعنته، أو سببته، فاجعلها له صلاة وزكاة**»[١].

وتجرَّأ الأمويّون على النبيّ ﷺ بنشر ما يصوِّره يخطىء في أوامره كما ورد في الخبر الموضوع عنه ﷺ: «**إذا أمرتكم بشيء من رأي فإنّما أنا بشر**»[٢].

وزاد حجم التجرُّؤ برواية تجعل النبيّ ﷺ يرفع زوجته عائشة لتنظر إلى رقص الحبشة بمسجده[٣] إلى أن وصل الأمر فيهم أن روَوْا أنّ رسول الله ﷺ أُقيم في منزله حفلُ غناء، إلى أن دخل أحد الصحابة فطلب النبيّ ﷺ إيقاف الغناء، لماذا؟

أجاب النبيّ ﷺ: «**لقد جاء من يخاف الله!!!**»[٤].

وقد مكَّنت هذه الجرأة وهذا التهكُّم الفاضح أن يصعد بعض الولاة على منابر المسلمين ليقولوا: «**أخليفة أحدكم أكرم عند الله أم رسوله؟**»[٥].

---

(١) انظر: معالم المدرستين للعسكري، ج٣، ص ١٥، ١٦، ١٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

أثر سياسة معاوية في المجتمع الإسلامي

جعلت سياسات معاوية التي ذكرنا المجتمعَ الإسلاميَّ مجتمعاً تتحكّم فيه النزاعات القبليّة التي تُلهيهم عن القضايا الكبرى، مجتمعاً خائفاً من القتل والتنكيل والسلب والتشريد، مجتمعاً شُلَّت حركته الثوريّة باسم الدين، وبروايات عن نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، مجتمعاً يعتبر أنّ الثائر على الحكم الظالم يموت ميتة جاهليّة، مجتمعاً تغيَّرت فيه صورة القدوة وتشوَّهت فيه صورة الصالحين.

هذا المجتمع الممزَّق الخائف المشرَّد الذي شُوِّهت عقيدتُه وزيِّف تاريخُه هو الذي عايشه الحسين عليه السلام.

نعم هناك قسم من هذا المجتمع لم تستطع دعايات معاوية وأساليبه أن تغيِّر حبَّهم للعدل الذي رأوه في الإمام عليّ عليه السلام والقيم التي شاهدوها فيه، ألا وهو مجتمع الكوفة، ولكنّ حبّهم هذا لم يغيِّر من واقع هزيمتهم وخوفهم فأصبحوا في ازدواجيّة يعيشونها، صوَّرها الفرزدق للإمام الحسين عليه السلام حينما سأله عن حالهم بقوله: «**قلوبُهم معك، وسيوفُهم عليك**»[1]، لكنّ القلوب المحبَّة لم تؤثّر أدنى أثر في حالة الهزيمة النكراء التي وصل إليها مجتمع الكوفة والمستوى المتدنّي له والذي صوَّرته قصّة سفيرالحسين عليه السلام مسلم بن عقيل الذي اجتمع حوله الآلاف، ولكن حينما دخل عبيد الله بن زياد، نادى مسلم بن عقيل بكلمة السرّ فاجتمع حوله

(١) انظر: المقرَّم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ١٧٤.

أربعة آلاف مقاتل توجهّوا نحو قصر الإمارة وحاصروه، ولكن ماذا كانت النتيجة؟ لقد انهزم أربعة آلاف مقاتل، أمام من؟، كم كان يوجد في داخل القصر؟، التاريخ يؤكّد أنّ من كان داخل القصر لا يتجاوز ثلاثين رجلاً[١].

هذا هو المجتمع الذي عايشه الحسين عليه السلام، مفرَّقٌ، خائفٌ، مُخدَّرٌ، مُضلَّلٌ، فقد كان الإسلام يُمحى من دون أن يعترض أحد أو يسجّل موقفاً.

رأى الحسين الخطورة على الإسلام، وعلم أنّ هذا المجتمع النائم في سبات عميق لا تهزّه كلمات ولا خطب ولا مواعظ، وأنّ هذا المجتمع لا يوقظه ضخ الماء في وجهه، بل لا بدّ من ضخٍّ الدم على عينيه، وأيّ دم؟ إنّه دم الحسين عليه السلام ولهذا ثار الحسين عليه السلام.

علم الحسين عليه السلام أنّ الإسلام لا يمكن أن يبقى إلاّ بثورة يكون قربانها هو نفسه، فقام عليه السلام بأوّل عملية استشهاديّة في الإسلام، حيث قدَّم فيها نفسه وأهل بيته وأصحابه.

فلولا ثورة الحسين عليه السلام لما بقي للإسلام من أثر، لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: «**حسينٌ منّي وأنا من حسين**»[٢]، ولو لا ثورة الحسين لما بقي ذكر لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولما بقي رسم للإسلام، فكان الحسين من محمّد ومحمّد من الحسين.

---

(١) انظر: المقرَّم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ١٥٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص ٢٧١.

المحاضرة الرابعة

ثورة الحسين عليه السلام

التخطيط والنتائج

ثورة الحسين عليه السلام : التخطيط والنتائج

الأنبياء عليهم السلام يبكون الحسين عليه السلام

غريبة هي قصّة الحسين عليه السلام ، فهو لم يكن النور الخامس في عالم الأنوار فقط، بل لم يكن اسمه من الأسماء التي دعت بها الأنبياء فقط، بل تميَّز الحسين عليه السلام بعلاقة خاصة بأنبياء الله تعالى الذين بكَوْا عليه طوال التاريخ قبل أن يولد.

آدم عليه السلام يبكي الحسين عليه السلام

فقد روى صاحب الدرّ الثمين في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ أنّه رأى ساق العرش وأسماء النبيّ والأئمّة عليهم السلام فلقَّنه جبرئيل: يا حميد بحقّ محمّد، يا عالي بحقّ عليّ، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن والحسين ومنك الإحسان.

فلمّا ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي!! قال جبرئيل: ولدُك هذا يُصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب، فقال: يا أخي وما هي؟ قال: يُقتل عطشانَ غريباً وحيداً فريداً، ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم، وهو يقول: واعطشاه، واقلَّة ناصراه، حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فلم يجبه أحد

إلاَّ بالسيوف، وشرب الحتوف، فيُذبح ذبح الشاة من قفاه، ويَنهبُ رحلَه أعداؤه، وتُشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان، ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنّان، فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثكلى»[١].

ويتكرّر لقاء آدم عليه السلام بالحسين حينما يهبط إلى الأرض طائفاً فيها، فيمرّ بكربلاء، فيغتمّ ويضيق صدره من غير سبب، فيرفع رأسه إلى السماء ويقول: إلهي هل حدث منّي ذنب آخر فعاقبتني به؟ فإنّي طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض.

فأوحى الله إليه: يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً فسال دمُك موافقة لدمه..»[٢].

نوح عليه السلام يذكر الحسين عليه السلام

ورُوِيَ أنّ نوحاً عليه السلام لمّا ركب في السفينة طافت به جميع الدنيا، فلما مرَّت بكربلاء أخذته الأرض، وخاف نوح الغرق فدعا ربّه وقال: إلهي طفت جميع الدنيا، وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض. فنزل جبرائيل وقال: يا نوح، في هذا الموضع يُقتل الحسين عليه السلام سبط محمّد خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأنبياء، فقال: ومن القاتل له يا جبرئيل؟ قال: قاتله لعين أهل سبع سموات

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٢٤٥.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٢٤٢.

وسبع أرضين، فلعنه نوح أربع مرات فسارت السفينة حتى بلغت الجوديّ، واستقرّت عليه»[١].

إبراهيم عليه السلام يبكي الحسين عليه السلام

فعن الإمام الرضا عليه السلام: «**لمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش... أوحى الله إليه: يا إبراهيم من أحبُّ خلقي إليك؟ فقال: يا ربّ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال: بل هو أحبُّ إليَّ من نفسي. قال تعالى: فولده أحبُّ إليك أم ولدك؟ قال: بل ولده... قال تعالى: يا إبراهيم فإنّ طائفة تزعم أنّها من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستحقّون بذلك سَخَطي، فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي...**»[٢].

موسى عليه السلام يلعن قاتل الحسين عليه السلام

ورُوي أنّ موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلمّا جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعلُه، وانقطع شِراكُه[٣]، ودخل الحسكُ في رجليه، وسال دمه، فقال: إلهي أيُّ شيء حدث مني؟ فأُوحي إليه: «**أنّ هنا يُقتل الحسين، وهنا يُسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه... فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمَّن يوشع بن نون على دعائه...**»[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٤٣.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٦.
(٣) الشِّرك: سَيْرُ النعل، قِدَّة من الجلد على ظهر القَدَم.
(٤) المصدر السابق، ص ٢٤٤.

عيسى عليه السلام يدعو على قاتل الحسين عليه السلام

و رُوي أنّ عيسى عليه السلام كان سائحاً في البراري، ومعه الحواريّون، فمرّوا بكربلاء فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق، فتقدّم عيسى إلى الأسد فقال له: لِمَ جلست في هذا الطريق؟.. فقال الأسد بلسان فصيح: إنّي لم أدع لكم الطريق حتى تلعنوا يزيد قاتل الحسين عليه السلام ... فرفع عيسى عليه السلام يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمَّن الحواريّون على دعائه فتنحَّى الأسد عن طريقهم ومضَوْا لشأنهم[1].

محمّد صلى الله عليه وآله يبكي الحسين عليه السلام

وتدخل أمُّ الفضل على خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله بعد ولادة الحسين عليه السلام فتجده فتقول له: ممّ بكاؤك يا رسول الله؟! فقال صلى الله عليه وآله: «**إنّ جبرئيل أتاني وأخبرني أنّ أمّتي تقتل ولدي هذا**»[2].

لماذا بكى الأنبياء عليهم السلام على الحسين عليه السلام ؟

إنّ بكاء أنبياء الله عليهم السلام على الحسين عليه السلام لم يكن لمجرّد المأساة التي حصلت في كربلاء، بل لأنّ قتل الحسين عليه السلام وسبي نسائه كان فيهما إحياء لدين الله الخالد، وللشريعة الخاتمة التي تمثّل طريق تحقيق سرّ الخلق وغايته. فالحسين بدمائه حافظ على الإسلام بعد ثورته في ذلك المجتمع المهزوم الذي كان الإسلام

(١) المصدر السابق، ص ٢٤٤.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٧.

فيه يُمحى دون أن يتحرّك أحد، والذي لم يوقظه إلاَّ دماء الحسين عليه السلام في كربلاء.

صور من المجتمع المهزوم في عصر الحسين عليه السلام

وقد تحدّثتُ في المحاضرة السابقة عن إحدى صور هزيمة ذلك المجمع وهي قصّة مسلم الذي انهزم أصحابه الأربعة آلاف أمام ثلاثين شخصاً حتّى بقي مسلم وحيداً.

بنو أسد يُهزَمون

ومن صور تلك الهزيمة ما جرى مع حبيب بن مظاهر حينما استأذن الحسين عليه السلام أن يأتي بني أسد يدعوهم لنصرة الحسين عليه السلام فأذن له الإمام، فلمّا أتاهم ودعاهم لذلك أجابه منهم عشرات، ولكن قبل أن يصلوا إلى معسكر الحسين عليه السلام حصل تصادم بينهم وبين فرقة من جيش سعد، ولم يؤدِّ هذا التصادم إلى انسحاب هؤلاء فحسب، بل أدى إلى ارتحال جميع أفراد القبيلة في جوف الليل خوفاً من ابن سعد، فرجع حبيب إلى الحسين دون أيّ واحد منهم[1].

خوف الكبار

ويُلاحظ المتتبِّع لكلمات كبار المجتمع الإسلامي، التي وجَّهوها إلى الإمام الحسين عليه السلام، حينما علموا أنّه سيخرج إلى الكوفة،

(١) انظر: المقرَّم، مقتل الحسين، ص ٢١٠.

علائمَ الخوف الذي سيطر على المجتمع، رغم أنّ منطَلَق كثير من هذه الكلمات هو الحرص على الحسين عليه السلام.

- فابن عبّاس قال: «**أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاكَ والاستئصال**»[١].

- وعبد الله بن جعفر كتب إليه: «**إنّي أسألك الله لمّا انصرفت حين تقرأ كتابي هذا فإنّي مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك**»[٢].

- وعبد الله بن عمر دعاه للرجوع إلى حرم جدّه[٣].

وعمر بن لوذان قال له: «**أنشدك الله يا ابن رسول الله لمّا انصرفت!! فوالله ما تُقْدِمُ إلاّ على الأسنّة، وحدّ السيوف**».

وكان جواب الحسين عليه السلام لهؤلاء الكبار الخائفين[٤] يعبِّر عن نظرة بعيدة عنهم كلّ البعد، فقد كان الحسين عليه السلام ينظر إلى الثمن الكبير الذي سيدفعه للمثمَّن الغالي، أما المثمّن فكان حفظ الإسلام الذي يمثّل غاية الخلق، وأمّا الثمن فكان شهادة الحسين وأصحابه وسبي النساء، وعبَّر الحسين عليه السلام عن هذا الثمن بقوله:

---

(١) المصدر السابق، ص ١٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٧.

(٣) الأمين، أعيان الشيعة، ص ٥٩٣.

(٤) إن تعبير خوف الكبار «هو للإمام القائد الخامنئي حفظه الله حينما ذكر ابن عباس وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير، وقال: «إنها عبرة حيَّة من التاريخ، عندما يخاف الكبار، عندما يكشف العدو عن وجهه القاسي جداً، ويشعر الجميع أنهم إذا ما دخلوا الميدان، ميدان المواجهة، وأحيط بهم، هناك يعرف ويتوضح جوهر وباطن الأشخاص (خطاب القائد، منشورات الوحدة الإعلامية المركزية في حزب الله بمناسبة شهر محرّم الحرام).

«شاء الله أن يراني قتيلاً وأن يرى النساء سبايا».

إنّه القتل الذي يوقظ الأمّة ويحفظ الدين فكان التخطيط.

١ - دور النساء

سار الإمام الحسين عليه السلام ومعه النساء وفيهن بنات علي بن أبي طالب عليه السلام، وفيهن السيّدة زينب حفيدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذهنَّ وهو يعلم أنّهنَّ سيصبحن سبايا وهذا ما يكشف عن ظلم الأمويّين وفسادهم وغيّهم الكبير.

وكان الحسين عليه السلام يدرك الدور الإعلاميّ الذي ستقوم به السبايا في مجتمعات المسلمين، وهكذا حدث...

فبينما دخلت السبايا الكوفة، قامت زينب عليها السلام وخطبت تلك الخطبة التي توبّخ فيها أهل العراق وهم يضجّون بالبكاء، قائلة: «**يا أهل الكوفة، يا أهل الخَتْل والغدر، أتبكون فلا رقأت[١] الدمعة ولا هدأت الرنّة.. ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتنتحبون، أي والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشَنارها[٢]، ولن تَرْحَضوها[٣] بغُسْلٍ بعدها أبداً، وأنّى تَرْحَضون، قُتل سليل النبوّة، ومعدنُ الرسالة... وسيّد شباب أهل الجنّة، ألا ساء ما يَزرون...**»[٤].

---

(١) رقَأَ الدمعُ: جفَّ وانقطَعَ.

(٢) الشَّنار: أقبحُ العيب، العار.

(٣) رَحَضَ: غَسَلَ، أي لن تغسلوا عارَكم.

(٤) انظر: المقرَّم، مقتل الحسين، ص ٣١١ - ٣١٢.

وتبعت زينبَ عليها السلام فاطمةُ بنت الحسين عليه السلام لتخطب في أهل الكوفة قائلة: «**ويلَكم! أتدرون أيّة يد طاعنتنا منكم؟! وأيّة نفس نزعت إلى قتالنا؟! أم بأيّة رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا؟ قست قلوبكم وغَلُظت أكبادكم...**».

فارتفعت الأصوات بالبكاء وقالوا حَسْبُنا يا ابنة الطاهرين، فقد حرقت قلوبنا وانضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا[١].

وفي مجلس يزيد قامت زينب مرّة أخرى لتنطق بلسان أبيها عليّ عليه السلام ممّا سحر أهل الشام وغيَّر مجرى الأحداث فيها. وهناك قالت ليزيد: «**فكِدْ كَيْدَك، واسْعَ سَعْيَك، وناصب جُهدَك فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وَحْينا...**»[٢].

وحينما دخل السبايا كان يوم دخولهم يوم عيد عند أهل الشام وكان يزيد يبتاهى بأنّه قتل الحسين عليه السلام، ولكن حينما خطبت زينب عليها السلام خطبتها وخطب ابن أخيها الإمام زين العابدين عليه السلام تلك الخطبة الشهيرة ضجّ الناس بالبكاء في مجلس يزيد، حتى اضطرّ أن يقول متبرّئاً من دم الحسين عليه السلام: «**لعن الله ابن مرجانة، والله ما أمرته بقتله ولا رضيت به، وقد حمّلني فاحتملت ما لا يُطاق، والله لقد وددت أنّي تنازلت عن كلّ شيء وأنّ حسيناً لم يُقتل**»[٣].

---

(١) المقرَّم، مقتل الحسين، ص ٣١٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٥٩.
(٣) الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، ج٢، ص ٧٨.

٢ - منزلة الأصحاب

وكان أصحاب الحسين عليه السلام من كبار الأمّة وخُلَّصها وقد وصفهم منادي كربلاء الذي خاطب جيش يزيد قائلاً: «**ويلَكم يا حمقاء مهلاً!! أتدرون من تقاتلون؟ إنّما تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر**»[١]، فمن ناحية الشجاعة هم فرسان المصر، ففيهم من كان يتقدّم نحو جند يزيد وإذا بهم يفرّون منه هاربين.

ومن ناحية المعرفة هم أهل البصيرة... فيهم شيخ القرَّاء وهو زهير بن القين، وفيهم برير بن خضير من شيوخ القرَّاء في جامع الكوفة وله في الهمدانيّين شرف وقدر[٢]، وفيهم من الصحابة من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مسلم بن عوسجة ونافع بن هلال، وفيهم سيّد بني أسد حبيب بن مظاهر الشريف الطاعن في السنّ.

وكان أصحاب الحسين عليه السلام موزّعين على القبائل والعشائر فما يحدث في كربلاء ستهتزّ له قبائل العرب وعشائرهم.

وحدثت الملحمة

قدَّم الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه(رض) نموذجاً معاكساً للمجتمع المهزوم.

كانت الزوجة تأتي إلى جيش مسلم لتأخذ زوجها، أمّا في عاشوراء فكانت الزوجة حينما يتقدّم زوجها مجاهداً بين يدي

---

(١) شمس الدين، أنصار الحسين، منشورات الدار الإسلامية، بيروت، ط٢، ص ١٨٦.

(٢) المقرّم، مقتل الحسين، ص٢٣٢.

الحسين عليه السلام، تتقدّم لتجاهد معه، كما فعلت أُمُّ وهب حينما أخذت عمود خيمة وأقبلت نحو زوجها تقول له: «**فداك أبي وأمّي قاتل دون الطيّبين ذريّة محمّد، فأقبل إليها يردّها نحو النساء، فأخذت بجانب ثوبه ثمّ قالت: إنّي لن أدعك دون أن أموت معك**»[١]، وها هي أمّ وهب تبحث عن جثّة زوجها بعد شهادته لتجلس إلى جانبه وتقول: «**هنيئاً لك الجنّة، اسأل الله الذي رزقك الجنّة أن يصحبني معك**» فأوعز شِمْر لعنه الله إلى غلامه فقتلها[٢].

وكانت الأمّ في جيش مسلم تأتي لتأخذ ابنها...

أمّا في كربلاء فقد قالت الأمّ لابنها: قم يا بنيّ فانصر ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**أفعل يا أمّاه ولا أُقصّر**»، ثمّ حمل ولم يزل يقاتل حتى قتل جماعة، ثمّ رجع إلى أمّه وقال: «**يا أمّاه، أرضيت؟ فقالت: ما رضيت حتى تُقتَل بين يدي الحسين عليه السلام**»[٣].

واستُشهد الإمام الحسين عليه السلام ومن معه، وتناقل الناس صورة ملحمة كربلاء وأصبح نداء الحسين الذي لم يكن يسمعه الناس يدقُّ في آذانهم دقّاً.

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٦٠٤.
(٢) القرشي، حياة الامام الحسين، ج٣، ص٢٣٤.
(٣) الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٦٠٤.

من نتائج الثورة

انتفاضة المدينة

وسمع أهل المدينة بملحمة عاشوراء، فذهب وفد من أشراف المدينة إلى الشام يتقدّمهم «**عبد الله بن حنظلة**» وحينما رجع الوفد قام «**عبد الله**» لينادي في أهل المدينة ويدعوهم للثّورة على يزيد وهو يقول: «**لقد جئتكم من عند رجل (يعني يزيد) لو لم أجد إلاَّ بنيَّ لقاتلته بهم**»... ولم تمض سنة على قتل الحسين عليه السلام وفي بعض التواريخ سنتان إلاَّ وقامت ثورة المدينة ضدّ الحكم الأمويّ، فخلعوا بيعة يزيد رسميّاً، وأعلنوا الثورة على حكومته، فأرسل يزيد إليهم جيشاً مؤلّفاً من اثني عشر ألفاً من أهل الشام، وقد أمر قائدها أن يبيح المدينة لجنده ثلاثة أيّام يصنعون بأهلها ما يشاؤون وينهبون من أموالهم ما يُحبّون. وكانت معركة حامية قُتِل فيها «**عبد الله بن حنظلة**» مع أولاده الثمانية[1].

ثورة التوَّابين

وندم أهل الكوفة لخذلانهم الحسين عليه السلام واجتمعوا إلى رؤسائهم، وقام أحد قادتهم «**سليمان بن صرد الخزاعي**» الذي لم يقاتل مع الحسين عليه السلام خوفاً من ابن زياد، قام فيهم خطيباً وقال:

---

(١) انظر: العسكري، معالم المدرستين، ج٣، ص٢٢٩ وما بعدها، والقرشي، حياة الإمام الحسين، ج٣، ص٤٤٩.

«ألا انهضوا فقد سَخِطَ عليكم ربُّكم ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله، والله ما أظنُّه راضياً دون أن تناجزوا من قتله، ألا لا تهابوا الموت، فما هابه أحد قطُّ إلا ذَلّ».

سبحان الله!!

إنّها بركات دم الحسين عليه السلام..

وما دخلت السنة ٥٦هـ إلاّ كانت نداءات «**يا لَثارات الحسين**» تزلزل جيش الأمويّين، ذهبوا إلى قبر الحسين عليه السلام وكانوا خمسة آلاف رجلاً وأقاموا عنده يوماً وليلة يستغيثون ويبكون.

وبدأت المعركة وكاد النصر أن يكون حليفهم لولا مَدَدُ الشام[١].

ثورة المختار

وخرج المختار من سجن الأمويّين تتردّد على مسامعه أصداء كربلاء، واجتمع الناس حوله وقام بثورته بعنوان «**الثأر للحسين عليه السلام**».

- قُتل ٨١ ألفاً ممّن اشترك بقتال الحسين عليه السلام.
- قُتل في يوم واحد ٨٤٢ شخصاً ممّن شهد قتل الحسين عليه السلام.
- قُتل «**شمر بن ذي الجوشن**» و«**عُبيد الله بن زياد**» و«**عمر بن سعد**» و«**حرملة**» قاتل الطفل الرضيع[٢].

---

(١) انظر: القرشي، حياة الامام الحسين، ج٣، ص٤٥٠ - ٤٥١.

(٢) انظر: القرشي، الامام الحسين عليه السلام، ج٣، ص٤٥٣ وما بعدها.

وتوالت الثورات

غريب أمر الحسين عليه السلام وقف في صحراء كربلاء في يوم عاشوراء وحيداً بعد أن قُتل أهل بيته وأصحابه ونادى في صحراء كربلاء «**ألا من ناصرٍ ينصرني**» والناس حوله لا يسمعون لكنَّ نداء الحسين عليه السلام اخترق دائرة الزمان والمكان فكان نداؤه كنداء جدّه إبراهيم عليه السلام حينما وقف على صخرة الكعبة وأذَّن في الناس بالحجّ، كان إبراهيم وحيداً إلاَّ أنّ نداءه الإلهيّ وصل إلى قلوب الملايين من الناس، فترى الملايين تذهب إلى بيت الله الحرام تلبّي نداء إبراهيم عليه السلام.

وكان الحسين عليه السلام وحيداً في ندائه «**هل من ناصر ينصرني**» وإذا بنداء الحسين عليه السلام يخترق الزمان والمكان، ليدخل في قلوب المؤمنين يُولِّد فيها حرارةً لا تنطفىء أبداً وإذا بالملايين من شيعة الحسين عليه السلام تتهافت إلى بيت الحسين عليه السلام في ذكرى عاشوراء.

يا لَعظَمة الحسين عليه السلام !!

كان وحيداً في كربلاء دون ناصر ومعين.

وأين هو اليوم؟ ... انظر أين أنت لتدرك عظمة الحسين عليه السلام ... بنى المسلمون المساجد ولكنّهم لم يبنوا بيوتاً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبيوتاً لعلي عليه السلام ولكن قلّما تجد بلداً فيه شيعة الحسين عليه السلام إلّا وللحسين

عليه السلام فيه بيت، بيت يدرس فيه منهج الحسين عليه السلام، بيت يتعلّم الناس فيه أن لا يبايعوا يزيديّي عصرهم كما رفض الحسين عليه السلام أن يبايع، بيت يرفض فيه الشيخ «راغب حرب» أن يصافح المحتلّ الإسرائيليّ لأنّ المصافحة اعتراف.. بيت يتعلّم الناس فيه أن لا يخافوا الظالمين، أن يواجهوهم ولو كانوا قلّة كما لم يخف أصحاب الحسين عليه السلام وهم النزر القليل... بيت أبي حسين القرن العشرين الإمام الخمينيّ العظيم﴾ حينما لبّى نداء الحسين عليه السلام فنصره الله في إيران ليرسم معالم القيادة التي ثار الحسين عليه السلام لأجل إصلاحها، أبى بعد ثورته إلاّ أن يكون منطلق ندائه للأمّة هو من بيت الحسين عليه السلام من حسينيّة «جمران».

بيت يتعلّم فيه أبناء الحسين عليه السلام أن لا يكرّروا تجربة الأمّة المهزومة في زمن الحسين عليه السلام كان الأمويّون يحرّفون الدين...

في زمن الحسين عليه السلام كان الأمويّون يُرهّبون الناس...

في زمن الحسين عليه السلام كان «يزيد» يريد البيعة، وتتكرّر في عصرنا هذه الاستحقاقات الثلاثة:

فالصهاينة يزيديّو العصر يحاولون تحريف الإسلام ويرهبون الناس ويعرضون الصلح والبيعة..

ويقف أبناء الحسين عليه السلام موقف الحسين عليه السلام في كربلاء يقاومون التحريف ويسخرون بإرهاب الصهاينة ويرفضون البيعة ليزيد ويؤكّدون البيعة لحسين العصر فقيه الأمّة ووليّها الإمام

الخامنئي حفظه الله، وقد أبى إلاَّ أن يكون منطلق نداءاته للأمّة من بيت الحسين عليه السلام ...

كلّ هذا ببركة الحسين عليه السلام ...

ببركة مجالس أبي عبد الله الحسين عليه السلام كما قال إمام الأمّة الراحل:

«كلّ ما عندنا هو من مجالس عاشوراء».

المحاضرة الخامسة

حبُّ الحسين عليه السلام

حُبُّ الحسين عليه السلام

لماذا خلَقَنا الله؟!!

تساؤل يدور في أذهان الناس، وجوابه يحدّد مسيرة الإنسان في الحياة، ويُشبع ما غرزه الله في النفس الإنسانيّة من عشق الكمال والسعي نحو السعادة. وقد أتى هذا الجواب في كلام الله القرآنيّ ليحدِّد مكمن السعادة الإنسانيّة:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

ففي عبادة الله كمال الإنسان وسعادته، لكنّها ليست العبادة التي تقتصر على مراسم طقوسيّة يكرِّرها الإنسان في حياته، بل هي العبادة التي تشمل كلّ شؤون الحياة الإنسانيّة، والتي من خلالها يكون الإنسان خليفة الله على الأرض.

من هنا كانت «**العبوديّة**» أشرف مرتبة وأرقى وسام للإنسان لأنّها تعني كماله، وهذا ما يُفهمنا سرَّ شهادتنا لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم بالعبوديّة قبل أن نشهد له بالرسالة، في قولنا ونحن نصلّي «**أشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله**» فمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم لو لم يكن عبداً لله لما كان رسولاً له.

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

العبوديّة = الحريّة

فالعبوديّة تعني التحرُّر من أغلال الشيطان وحبائل النفس والهوى، فما أبلغ قولَ الله تعالى، وهو يحدثنا عن قصّة امرأة عمران التي نذرت أن يكون ما في بطنها عبداً لله، خادماً في بيت المقدس، فقال تعالى يحكي نَذْر هذه المرأة المؤمنة ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[1]، كانت هذه المرأة العظيمة تفهم معنى العبوديّة لله، فوصفت مولودها في عبوديته لربِّه وخدمته بيت الله أنّه محرَّر، إنّها الحريّة الحقيقيّة التي ترقى بالإنسان إلى قاب قوسين أو أدنى.

العبوديّة و«بِشْر الحافي»

وشتان بين امرأة عمران وبين تلك الجارية التي كانت لأحد الفاسقين المشتغلين بالملاهي ويدعى «بِشْر»، فقد ورد أنّ الإمام موسى الكاظم عليه السلام مرَّ أمام دار بِشْر فسمع منها الغناء واللّهو، ورأى على باب الدار جارية، فقال لها:

- أيّتها الجارية، مولاك حرٌّ أم عبد؟

فقالت: حرّ.

فقال عليه السلام: صدقتِ، لو كان مولاك عبداً لعمل بمقتضى العبوديّة، وخاف الله تعالى.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

فذهبت الجارية إلى داخل الدار، وأخبرت بِشْراً بذلك، فأثّر فيه هذا الكلام وخرج حافياً إلى خارج الدار، وجعل يركض خلف الإمام حتى وصل إليه، فوقع على قدميه، وتاب على يده وأناب وبقي حافياً طول عمره[١].

العبوديّة في العاطفة

وعبوديّة الإنسان لله تعالى لا تقتصر وتنحصر بعمل الجسد، بل تشمل تعلّق القلب وعاطفة الإنسان، فحتّى يكون الإنسان عبداً لله يجب عليه أن يُخضِعَ عاطفته لله، فلا يُحبُّ إلاَّ من يرضى الله بحبّه، ولا يُبغض إلاَّ من يرضى الله ببغضه. من هنا ذكرت بعض الروايات أثراً لحبّ الإنسان، ففي الحديث الشريف عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا علي، لو أنّ رجلاً أحبَّ في الله حجراً لحشره الله معه**»[٢].

وقد حدَّد نبيُّ الإسلام ميزان الحبّ والبغض حينما قال - في ما ورد عنه: «**أَوثَقُ عُرى الإيمان أن تُحبّ في الله وتُبغض في الله**»[٣].

وعلى أساس هذه الضابطة حُدِّد الأحباء بعد الله تعالى الذين يجب على المؤمن أن يتوجّه بعاطفته نحوهم:

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة، ج٣، ص٥٧٩.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٦، ص٢٣٥.
(٣) الريشهري، ميزان الحكمة، منشورات الدار الاسلامية، بيروت، ج٢، ص٢٣٣.

الأحبّاء

فأوّلهم رسول الله محمّد ﷺ فقد ورد عنه ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[١].

وتحدَّث القرآن الكريم عن حبٍّ يلي حبَّ النبيّ ﷺ ويسأل الله عنه مقابل أجر رسالة الإسلام وذلك في قوله تعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[٢].

وقد أجمع الشيعة ووافقهم ثُلَّة من علماء أهل السُنَّة أنّ المراد من القربى هنا هم أهل بيته الأطهار؛ ففي الرواية عن ابن عباس: «**لمّا نزلت هذه الآية ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودّتهم؟ قال ﷺ: علي وفاطمة وولداها**»[٣].

وتكاثرت الأحاديث عن النبيّ ﷺ في حبّ أهل بيته الطيّبين، وذلك في توجيه للمسلمين أن يرتبطوا بها بقلوبهم ليكون ذلك مدخلاً لطاعتهم في ولايتهم الإلهيّة.

ومن تلك الأحاديث الواردة في حبّ آل محمّد ﷺ ما رواه الزمخشري صاحب الكشّاف عن النبيّ ﷺ أنه قال:

«**ألا مَن مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً**».

---

(١) المصدر السابق، ص٢٣٧.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٣) انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٨، ص٥٢. - الرازي، التفسير الكبير، منشورات مكتب الاعلام الاسلامي، ط٣٠، ج٢٧، ص١٦٦.

ألا مَن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له.

ألا مَن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً.

ألا مَن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان.

ألا مَن مات على حُبّ آل محمّد بشَّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير.

ألا مَن مات على حبّ آل محمّد يُزفّ إلى الجنّة كما تُزفُّ العروس إلى بيت زوجها.

ألا مَن مات على حبّ آل محمّد فُتح له في قبره بابان إلى الجنّة.

ألا مَن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة.

ألا مَن مات على حبّ آل محمّد مات على السنَّة والجماعة.

ألا ومَن مات على بُغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيسٌ من رحمة الله.

ألا ومَن مات على بُغض آل محمّد لم يشمَّ رائحة الجنّة[1].

وبيَّن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام فريضة في الدنيا يُسأل عنها كلّ عبد يوم القيامة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تزول قدم عبدٍ يوم القيامة من بين يدي الله حتى يسأله عن أربع خصال:**

(١) الرازي، التفسير الكبير، ج٢٧، ص١٦٥ - ١٦٦ - شرف الدين، الفصول المهمة، منشورات الرضي، قم، ص٤٩ - ٥٠.

١ - عمرك فيما أفنيته؟

٢ - وجسدك فيما أبليته؟

٣ - وعن مالك من أين اكتسبته وأين وضعته؟

٤ - وعن حبّنا أهل البيت[١].

وتحدّث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن حبّ أهل البيت عليهم السلام الذي يسمو بالإنسان يوم القيامة ليجعله في درجة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روى أحمد بن حنبل والترمذي «**وهما من كبار علماء أهل السنَّة**» أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وقال: «**من أحبّني وأحبَّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة**»[٢].

من هنا ذكر العلماء أنّ حبَّ أهل البيت هو ضرورة دينيّة منكرها كافر خارج عن الإسلام، ولذا كان أئمّة أهل السنَّة يتغنّون بحبّ أهل البيت عليهم السلام، حتى قام إمام الشافعيّة منشداً:

يا راكباً قِفْ بالمحصَّبِ من مِنًى
واهتِفْ بساكنِ خَيْفِها والناهِضِ
سَحَراً إذا فاضَ الحجيجُ إلى مِنًى
فيْضاً كما نَظْمِ الفُراتِ الفائضِ
إنْ كان رَفْضاً حُبُّ آل محمَّدٍ
فَلْيشهَدِ الثَّقَلانِ أنّي رافضي[٣]

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧، ص٢٥٩.
(٢) شرف الدين، الفصول المهمة، ص٤٩.
(٣) الرازي، التفسير الكبير، ج٢٧، ص١٦٦.

حبّ عليّ عليه السلام

وركّز النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديثه على حبّ أوّل أهل بيته وأبي الأئمّة المعصومين أمير المؤمنين ومولى الموحّدين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فربط صلى الله عليه وآله وسلم قبول أعمال المسلمين بحبّه حينما قال: «**من أحبَّ عليّاً قَبِل الله منه صلاته وصيامه وقيامه واستجاب دعاءه**».

وتابع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**ألا ومن أحبَّ عليّاً أعطاه الله بكلّ عِرْق في بدنه مدينة في الجنّة**»[1].

وبيَّن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديثه أنّ أعمال الإنسان بدون ولاية عليّ عليه السلام لا يستحقّ بها الجنّة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا عليّ، لو أنّ عبداً عَبَدَ الله عزَّ وجلَّ مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أُحُد ذهباً، فأنفقه في سبيل الله، ومدَّ في عمره حتى حجَّ ألف عام على قدميه، ثُمَّ قُتِلَ بين الصفا والمروة مظلوماً ثمّ لم يوالك يا عليّ، لم يشمّ رائحة الجنَّة ولم يدخلها**»[2].

ومن منطلق هذه الأحاديث أنشد المحقّق الطوسي رحمه الله قصيدته المشهورة:

لو أنَّ عبداً أتى بالصالحاتِ غداً
وودَّ كلَّ نبيٍّ مرسلٍ وولي

(١) الخوارزمي، المناقب، تحقيق المحمودي، مؤسّسة النشر الاسلامي، ص٧٢.
(٢) المصدر السابق، ص٦٨.

وصـــامَ مـا صـــامَ صـــوَّامٌ بـلا مَـلـلٍ
وقـــامَ مـا قـــامَ قـــوَّامٌ بـلا كَـسـلِ
وحـجَّ مـا حـجَّ مـن فـرضٍ ومـن سُنَنٍ
وطـاف مـا طـاف حـافٍ غـيـرُ منتعلِ
وطـــارَ فـي الـجـوِّ لا يـــأوي إلـــى أحـدٍ
وغـاصَ فـي الـبـحـر مـأمـونـاً مـن البللِ
يكسـو الـيـتـامـى مـن الـدّيـبـاج كلَّهُمُ
ويُـطـعـم الـجـائـعـيـن الـبُـرَّ بـالـعـسـلِ
وعـاشـ مـا عـاشـ آلافـــاً مـؤلَّـفـةً
خـالٍ مـن الـذنـب مـعـصـومٌ مـن الـزلـل
مـا كـان فـي الـحَشـر عـنـد الله منتفعاً
إلاَّ بـحـبِّ أمـيـر الـمـؤمـنـيـن عـلـيّ[1]

وتحدّث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن علاقة الحبّ بعليّ عليه السلام، تلك العلاقة التي تنفع الإنسان في مسيرته في عالم الآخرة، فيكون عليّ عليه السلام مع محبِّه في بداية رحلة الموت، ينقذه حبه لعليّ عليه السلام كما أنقذ حبّ عليّ عليه السلام شاعر أهل البيت عليهم السلام إسماعيل الحميري الذي اجتمع حوله وهو يحتضر شيعة وناصبة، فإذا بنقطة سوداء ترتسم في وجه إسماعيل لتنتشر ويصبح وجهه أسود واغتمَّ الشيعة لذلك، إنّها آثار المعاصي تبدو على وجهه، لكن ما هي إلاَّ لحظات حتى ظهرت بارقة نور في وجه إسماعيل أخذت تنتشر فيه ليشرق لونه

(١) الحكيمي، سلوني قبل أن تفقدوني، منشورات الأعلمي، بيروت، ج١، ص٣٩.

نوراً وبهاءً. ما الأمر؟ ماذا حدث؟ لقد جاءه المنقذ؟ لقد رأى عليّاً عليه السلام، وأنشد إسماعيل يُعبِّر عمّا جرى له:

كَـــذِب الـــزَّاعـــمـــون أنَّ عـلـيـاً
لـــن يُـنَـجِّـي مـحـبَّـه مـن هَـنـاتِ
قـد وَربـــي دخـلـتُ جـنَّـة عـدن
وعَـفـا لـي الإلـــهُ عـن سـيِّـئـاتـي
فـابـشـروا الـيـومَ أولـيـاءَ عـلـيٍّ
وتـــوَلَّـــوا عـلـيّـاً حـتـى الـمـمـات
ثـــمّ مـــن بـعـده تـــوَلَّـــوا بـنـيـه
واحـــداً بـعـدَ واحـد بـالـصّـفـات[1]

ومات إسماعيل الحميري مشرق اللّون لحبّه وولائه لعليّ، وكيف لا! وقد أخبرنا حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن ملك الموت يترحَّم على محبِّي عليّ بن أبي طالب كما يترحَّم على الأنبياء عليهم السلام**»[2].

سعادة محبّ عليّ عليه السلام في الآخرة

وتابع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يخبر عن السعادة التي يتلقّاها محبّ عليّ عليه السلام فقال - في ما ورد عنه - : «**إنّ السّعيد كلّ السَّعْد من أحبَّ عليّاً عليه السلام في حياته وبعد موته...**»[3].

---

(١) شبّر، تسلية الفؤاد، منشورات مؤسّسة الوفاء، بيروت، ص٧٥.
(٢) الخوارزمي، المناقب، ص٧٢.
(٣) المصدر السابق، ص٧٩.

وأقبل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم بوجهه على عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: ألا أبشّرك يا أبا الحسن؟ قال عليه السلام: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: هذا جبرئيل يخبرني عن الله تعالى أنّه أعطى شيعتك ومحبّيك سبع خصال:

١ - الرفق عندالموت.

٢ - والأنس عند الوحشة.

٣ - والنور عند الظلمة.

٤ - والأمن عند الفزع.

٥ - والقسط عند الميزان.

٦ - والجواز على الصراط.

٧ - ودخول الجنّة قبل سائر الناس، نورهم يسعى بين أيديهم وبإيمانهم[١].

وهناك في مشاهد النور يوم القيامة يَعرف الناس مقام حبّ الأمير عليه السلام ويتذكّر السامعون لأقوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «**لو اجتمع الناس على حبّ عليّ بن أبي طالب لما خلق الله النار**»[٢].

وما أجمل قولَ الشاعر:

ولايـتـي لأمـيـرِ الـنَّـحْـلِ تكفيني

عـنـد الـمـمـاتِ وتغسيلي وتكفيني

(١) النيسابوري، روضة الواعظين، منشورات الأعلمي، بيروت، ص٣٢٥.

(٢) الخوارزمي، المناقب، ص٦٧.

وطينتي عُجِنَتْ من قبلِ تكويني
بحبِّ حيدرٍ، فكيف النارُ تكويني؟!

حبُّ الحسين عليه السلام

وكما علَّم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين حبَّ عليّ عليه السلام ركَّز في تعليمه على حبِّ سبطه الحسين فكان يقول صلى الله عليه وآله وسلم على مسامع المسلمين: «**حسين منّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً**»[١].

واللّافت في هذا الحديث هو قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «**وأنا من حسين**»، فكون الحسين عليه السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمر طبيعي، ولكن كيف يكون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الحسين عليه السلام؟ إنّه صلى الله عليه وآله وسلم يشير إلى المهمّة الإلهيّة الكبرى للحسين عليه السلام في كربلاء والتي من خلالها حافظ على الإسلام، لذا عقَّب الكلام بقوله: أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، من هنا واصل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تعليم المسلمين حبَّ الحسين عليه السلام فكان يقول لهم: «**من أحبَّ أن ينظر إلى أحبِّ أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى الحسين عليه السلام**»[٢].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ بيد سبطه الحسين عليه السلام ويقول: «**أيّها الناس، هذا الحسين بن علي فاعرفوا، فوالذي نفسي بيده إنّه لفي الجنّة، ومحبّيه في الجنّة، ومحبّي محبّيه في الجنّة**»[٣].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٣١٦.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٩٧.
(٣) المصدر السابق، ص٢٦٢.

مظاهر حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للحسين عليه السلام

لم يكن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى حبّ الحسين عليه السلام بلسانه فقط، بل كان المسلمون يرون منه حبّاً كبيراً لسبطه الحسين عليه السلام، فكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي بالناس جماعةً والحسين الطفل يركب ظهره ثمّ يُنزلُه النبيّ ثم يرجع إلى ركوب ظهره ثمّ ينزله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بوداعته الحنونة إلى أن ينهي الصلاة، وقد أثّر هذا المشهد بأحد اليهود حينما رأى ذلك فأعلن إسلامه[١].

وفي ذات مرّة كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يخطب على المنبر، إذ خرج الحسين عليه السلام فوطىء في ثوبه فسقط فبكى، فنزل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن المنبر وضمَّه إليه[٢]. ورأى المسلمون النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يحبو للحسن والحسين وهما على ظهره وهو يقول: «**نِعْمَ الجملُ جملُكما، ونِعْمَ العدْلان أنتما**»[٣].

وتُحدّثنا أمُّ سلمة أنّها رأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُلبس ولده الحسين عليه السلام حلّة ليست من ثياب الدنيا، فقالت له: يا رسول الله، ما هذه الحلّة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هذه هدية أهداها إليَّ ربِّي للحسين عليه السلام، وإنّ لُحمتها من زغب جناح جبرئيل، وها أنا أُلبسه إيّاها، وأزيّنه بها، فإنَّ اليوم يوم الزينة وإنّي أحبُّه»[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص٢٩٦.
(٢) المصدر السابق، ص٢٩٥.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٨٥.
(٤) المصدر السابق، ص٢٧١.

إبراهيم عليه السلام فداء الحسين عليه السلام

وفي قصّة رواها أحد الصحابة ترسم حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للحسين عليه السلام بأسمى وأرقى حبّ عرفته البشريّة، فقد روى هذا الصحابيُّ أنّه دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكان واضعاً الحسين عليه السلام الطفل على فخذه الأيمن وابنه إبراهيم على فخذه الأيسر فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له: (أتاني جبرائيل من ربي) فقال لي: (يا محمّد إنّ ربك يقرؤك السلام ويقول لك: «**لست أجمعهما لك، فافدِ أحدهما بصاحبه، فنظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى إبراهيم فبكى ثم قال: (إنّ إبراهيم متى مات لم يحزن عليه غيري، وأمّ الحسين فاطمة، وأبوه علي ابن عمي لحمي ودمي، ومتى مات حزنت إبنتي، وحزن ابن عمّي، وحزنت أنا عليه، وأنا أوثر حزني على حزنهما يا جبرئيل! يُقبض إبراهيم، فديت الحسين بإبراهيم)، فكان إبراهيم فداء الإمام الحسين عليه السلام**»[1].

عشّاق الحسين عليه السلام

وعلَّم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الناس أن يحبّوا حسيناً، وأراد من حبّهم له أن يكون المدخل لولائه وطاعته.

وأحبَّ الناس الإمام الحسين عليه السلام، لكنّ الكثير منهم لم يحقّقوا غاية حب الحسين عليه السلام، سوى ثُلّة من الناس أحبّوا الحسين عليه السلام

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٢٦١.

كما أراد لهم نبيّ الإسلام... عشقوه في الله، فقدّموا كلّ ما عندهم لأجل الحسين عليه السلام في مرضاة الله تعالى إنّهم أصحاب الحسين عليه السلام في كربلاء الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام في نداء الغيب الناظر إلى شهداء كربلاء (مصارع عشّاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم مَن بعدهم)[١]... وأيّ عشّاق هم؟

ها هو بشر الحضرمي يؤسر ابنه، فيقول له الحسين عليه السلام: «**رحمك الله، أنت في حلٍّ من بيعتي، فاذهب وأعمل في فِكاك إبنك**»، فأجاب بِشْر: «**أكلتني السباع حيًّا إن أنا فارقتك يا أبا عبد الله**»[٢].

وها هو عابس بن شبيب الشاكري يقف أمام الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء ويقول له: «**ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ منك، ولو قدرت أن أدفع الضيم عنك بشيء أعزّ عليَّ من نفسي لفعلت**»، وسار نحو جيش يزيد فأحجم القوم عنه لأنّهم عرفوه أشجع الناس، فصاح عمر بن سعد أرضخوه بالحجارة، فرُمي بها، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومِغْفَرَهُ وشدَّ على الناس[٣] وروي أنه قيل له: يا عابس هل جننت؟!! فأجاب: حبُّ الحسين قد أجنَّني.

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤١، ص٢٩٥.
(٢) الأمين، أعيان الشيعة، ج٣، ص٥٧٥.
(٣) انظر: المقرَّم، مقتل الحسين عليه السلام، ص٢٥١ - ٢٥٢.

الحبّ مدخل العبوديّة

أراد الله والرسول للمسلمين أن يحبّوا الحسين عليه السلام كحبّ أصحابه له يوم عاشوراء، الحبُّ الذي يكون مدخلاً لطاعة الإمام التي أرادها الله تعالى، ليكون المحبّ بحبِّه عبداً لله يحركّه حبّه نحو العبوديّة وهو مستعدّ للتضحيّة في سبيلها، ولم يرد الله تعالى من حبِّ الحسين مثل حبِّ أهل الكوفة الذين كانوا يحبّونه بقلوبهم لكنّهم سلَّطوا سيوفهم عليه، كانوا يحبّونه، لكنّهم داسوا جسده المبارك بخيولهم، وسبوا نساءه، وسرقوا ماله، وكان بعضهم حين فعل جريمته يبكي، كذلك الرجل الذي كان يسرق ابنة الحسين عليه السلام وهو يبكي فقيل له: لمَ تبكِ؟ فأجاب: كيف لا أبكي وأنا أسرق ابنة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!!

فلنتعلّم من مدرسة عاشوراء كيف نحبّ الحسين حبَّ الولاء والتضحية، حبَّ الطاعة والإلتزام ملبّين دعوة الحبّ الإلهي:

﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1].

حتى لا نكون كما قال الشاعر:

تعصي الإلـهَ وأنـت تُظهرُ حبَّهُ
هذا لَعمرُك في الفعال بديعُ
لو كان حبُّكَ صادقاً لأطعتَهُ
إنّ المحبّ لمن يحبُّ مُطيعُ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

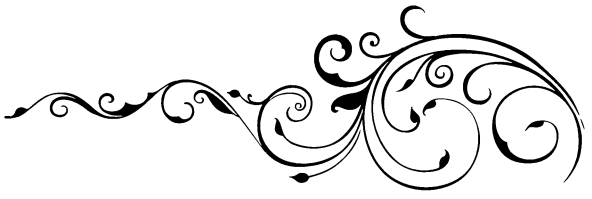

المحاضرة القادمة

الإخلاص في ثورة الحسين عليه السلام

الإخلاص في ثورة الحسين عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[1].

قيمة العمل

يُقيِّم كثير من الناس أعمال الإنسان بحسب ما يظهر منها، ويسري هذا إلى المجالات الخيريّة، فيقال: هنيئاً لفلان قد عمَّر مسجداً، وهنيئاً لفلان قد بنى مدرسة، ولله دَرُّ فلان قد شيَّد حسينيّة، فيكون البعد الظاهري للعمل في نظرهم هو الأساس في قيمته..

فهل تقييم الله لعمل الإنسان يُوافق نظرة هؤلاء أم يختلف؟

إنّ الجواب هو قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾. فلم يقل الله ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ بل ﴿أَحْسَنُ عَمَلاً..﴾.. فالمدار في نظرة الله تعالى هو حسن العمل.

فأوّلاً لا بدّ من عمل، إذ لا يكفي عند الله سبحانه الإيمان القلبي المجرَّد، كما يردّد بعض الناس لتبرير عدم إلتزامهم الدينيّ: (إنَّ الإيمان بالقلب).. كلّا، إنّ الإيمان القلبيّ وحده لا يكفي، فالله تعالى

(١) سورة هود، الآية ٧.

يقول: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ * وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ * وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1].

وقد سجَّل لنا التاريخ صورة رائعة من أطهر قلب بشريّ وأكبر مؤمن في تاريخ الإنسانيّة ألا وهو رسول الله ﷺ حينما خرج في آخر عمره الشريف ليلاً، وذهب إلى مقبرة البقيع، واستغفر للراقدين فيها، ثمّ التفت إلى أصحابه وقال: «**إنّ جبرئيل ليعرض عليَّ القرآن في كلّ سنة مرّة، أمّا هذا العام فقد عرضه مرّتين، وإنّي لأظن أنّ موتي قد إقترب**». وفي اليوم التالي صعد المنبر، وأعلن قرب موته، وطلب من كلّ من يطلبه بشيء أن يأتي إليه ليؤدّيه له. وواصل حديثه قائلاً: «**أيها الناس، إنّه ليس بين الله وبين أحد نسب، ولا أمر يؤتيه به خيراً، أو يصرف عنه شرّاً إلّا العمل، ألا لا يدّعينَّ مدَّعٍ ولا يتمنّين متمنٍّ، والذي بعثني بالحقّ لا يُنجي إلّا عمل مع رحمة، ولو عصَيْتُ لهوَيْت، اللّهمَّ قد بلَّغت**»[2].

عمل + إخلاص

ولا يكفي العمل وحده لينال مرتبة الرضا الإلهيّة بل لا بدّ أن يكون حسناً، وأهمّ شرط في حسنه هو صدوره عن خلفيَّة سليمة، ونيّة خالصة لله تعالى.

---

(١) سورة العصر، الآيات:

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، ج٢، ص٨٦٢ نقلاً عن المطهري، العدل الإلهي، منشورات الدار الاسلامية، ص٢٨٦.

من هنا وردت دعوات الأنبياء والأولياء أن تكون الأعمال لله تعالى، فالإمام الصادق عليه السلام يقول - في ما ورد عنه - : «**اجعلوا أمركم هذا، ولا تجعلوه للناس، فإنّه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد إلى الله**»(١).

واشتهر قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّما الأعمال بالنيَّات، وإنّما لكلّ امرىء ما نوى، فمن كان هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كان هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(٢).

طاووس والإمام السجّاد عليه السلام :

وقد قدَّم الإمام زين العابدين عليه السلام مشهداً حيّاً وبياناً بليغاً في ما رواه عنه طاووس اليماني حينما رأى الإمام السجاد يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبَّد، فإذا بالإمام يرمق السماء بطرفه ويقول: «**إلهي غارَتْ نجومُ سماواتك، وهجعَتْ عيونُ أنامك، وأبوابُكَ مفتَّحاتٌ للسائلين، جئتك لتغفرَ لي وترحمَني وتُريَني وجه جدّي محمّد** صلى الله عليه وآله وسلم **في عرَصات القيامة، ثم بكى... وأطال الدعاء والبكاء. فدنا منه طاووس وقال له: ما هذا الجزع والفزع؟! ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا، ونحن عاصون جانون أبوك الحسين بن عليّ** عليه السلام، **وأُمُّك فاطمة الزهراء** عليها السلام، **وجدُّك رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **!! فالتفت إليه الإمام وقال:**

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١، ص٥٢.

(٢) الشهيد الثاني، منية المريد، منشورات دار المرتضى، بيروت، ص٤٢.

«هيهات هيهات يا طاووس!! دع عنّي حديث أبي وأُمّي وجدّي، خلق الله الجنّة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبداً حبشيّاً وخلق النار لمن عصاه، ولو كان ولداً قرشيّاً، أما سمعتَ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾[١] والله لا ينفعك غداً إلاّ تقدمةٌ تقدّمها من عمل صالح»[٢].

إذاً ما يرتفع إلى الله تعالى هو العمل الخالص لوجهه سبحانه ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٣].

بُهلول ودرس الإخلاص

وقد أعطى بُهلول - وهو عالم كبير تظاهر بالجنون حتى لا يستلمَ مركز القضاء المحرَّم - درساً في الإخلاص وصدق النيّة حينما مرَّ ورأى قوماً يبنون مسجداً فقال لهم: «**لماذا تبنون هذا المسجد؟**» فأجابوا: «**وهل هذا سؤال يُسأل؟!!.. إنّما نبني لله سبحانه وتعالى**».. فذهب «**بُهلول**» إلى خطاط وقال له: انقش على بلاطة «**مسجد بهلول**»، فنقش ذلك على بلاطة، وأخذها بُهلول في الليل وعلّقها على باب المسجد. في اليوم التالي أتى إلى أولئك القوم فوجدوا تلك البلاطة على باب المسجد، فأخذوا يفتّشون عن بهلول وهمُّوا أن يضربوه، لكنّه فاجأهم قائلاً: «**لماذا غضبتم**

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٦، ص٨١ - ٨٢.
(٣) سورة البيّنة، الآية: ٥.

هكذا؟ لقد سألتكم عن سبب بنائكم لهذا المسجد فأجبتم إنّما نبني لله، فإذا أخطأ الناس وظنّوا أنّي أنا باني المسجد فإنّ الله لا يختلط عليه الأمر ويعلم أنّكم أنتم البانون!!!...».

خاتَمُ عليّ عليه السلام: إخلاص أم ثمن غالٍ؟!

ولم يفهم بعض الناس قيمة الإخلاص عند الله تعالى، فاعتقدوا أنّ المقياس الماديّ، وكميّة العمل وحجمه هي التي تعطيه القيمة الحقيقيّة، وقد سرى هذا اللون من التفكير على فهم النصوص الدينيّة، فمثلاً حينما قرأ هؤلاء قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1] وعلموا أنّ هذه الآية نزلت - كما هو المعروف عند المسلمين - في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حينما كان في المسجد، وقد دخل فقير يطلب من المسلمين صدقة، فلم يعطه أحد، فرفع يديه إلى السماء وقال: «**اللّهمّ إنّي دخلت مسجد نبيّك ولم يتصدَّق عليَّ أحدٌ من المسلمين**»، وكان عليّ عليه السلام يصلّي، فأشار عليه السلام إلى الفقير بيده أثناء الصلاة وناوله الخاتم الذي كان يلبسه، في هذه الأثناء نزل جبرئيل على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الآية، فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد، وسأل المسلمين: من تَصدَّق في صلاته؟ فقيل له: إنّه عليّ عليه السلام، فكبَّر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حامداً الله تعالى لنزول آية الولاية في

(١) سورة المائدة، الآية ٥٥.

ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام[١].

حينما قرأ أولئك الناس هذه القصّة لم يتعقّلوا أنّ آية الولاية الكبرى تنزل في شخص لأنّه تصدّق بخاتم عادي، إذاً لا بدَّ - بحسب تفكيرهم - من أن يكون الخاتم ذا قيمة ماديّة كبيرة، لذا قالوا: إنّ قيمة خاتم عليّ عليه السلام هذا تعادل خراج بلاد الشام، يقول الشهيد المطهّري: «**ولكي يصدّق الناس صاغوا هذا القول بشكل رواية**»[٢].

كلّا، إنّ الأمر لم يكن كذلك، فإن عليّاً عليه السلام لا يلبس مثل هذا الخاتم، وفي المدينة فقراء يئنّون، ولو ملكه فإنّه لا يهديه إلى فقير، بل يحيي به المدينة كلّها.

إنّ قيمة عمل عليّ عليه السلام الذي قام به وهو يصلّي تكمن في الإخلاص الذي امتلك قلب عليّ عليه السلام وهو يهدي الفقير خاتمه.

وليست صورة التصدُّق في الصلاة هي التي أنزلت آية الولاية، كما ظنّ بعض الصحابة الذين قال أحدهم: تصدقتُ في الصلاة بخاتم أربعين مرّة لينزل فيَّ ما نزل في علي عليه السلام فلم ينزل!!! إنّ القيمة عند الله ترجع لكيفيَّة العمل لا لكميّته.

---

(١) انظر: المشهدي، تفسير كنز الدقائق، ج٣، ص١٢٠.

(٢) العدل الإلهي، ص٣٤٥.

حساب العالم

وتأكيداً على هذه النظرة الإلهيّة نورد حكاية عن عالمين صديقين تعاهدا على أنّ من يموت منهما قبل الآخر يطلب من الله تعالى أن يأتي صديقه في المنام ليخبره بما حدث معه، فمات أحدهما لكنّ الآخر لم يأتِ إليه في منامه إلاَّ بعد عدّة ليالٍ، وكان يبدو عليه السعادة والنعيم، فسأله صديقه عمَّا حدث معه، فأجاب بأنّ الملائكة سألته عن أعماله، فأخذ يعرض لها ما عنده. فقال: لقد ألَّفتُ الكتاب الفلاني، ونشرته بين الناس، لكنّ الملائكة أجابته: لقد ألَّفته ليقول الناس عنك عالم، وقد قالوا فلا أجرَ لك عند الله عليه. فقال العالم: لقد كنت أعظ الناس وأخطب بهم.. وأخذت الملائكة تدقّق في نيَّته في كلّ هذه الأعمال لتخبره بأنّه لم يكن مخلصاً فيها لله، ولم يبقَ عند العالم عمل يضعه بين يديه لينفعه في آخرته، وأخذ يشعر بحالة اليأس.. لكنّ الملائكة فاجأته قائلةً: (إنّ الله سيُدخلك الجنّة، لكن بفضل عمل لم تذكره لنا).. أخذ يتذكّر ما هو هذا العمل المهمّ الذي فعله في حياته ليكون سبباً في دخوله الجنّة دون كلّ الأعمال التي عرضها للملائكة لكنّه لم يتذكّر، فعرَّفته عليه الملائكة حينما قالت له: (في ليلة من الليالي كنتَ جائعاً وفيما كنتَ ماشياً، وفي جيبك تفاحة، وَجَدتَ يتيماً جائعاً، فأخذتَ التفاحة من جيبك وأعطيتها لليتيم.. إنّ الله سيدخلك الجنّة بسبب هذه التفاحة!!!).

إخلاص الحسين عليه السلام

ونأتي إلى عمل الحسين عليه السلام في كربلاء لنجد فيه العطاء الكبير على المستوى الظاهري، فبعمله أيقظ الأمّة النائمة التي كان الإسلام يُمحى من حولها دون أن تحرّك ساكناً، فبعمله حافظ على الإسلام، كما يقول عالم الأزهر الكبير الشيخ محمّد عبده: (لو لا ثورة الحسين عليه السلام لم يبق للإسلام من أثر).

لكن لو سألنا الحسين عليه السلام عن داعيه الأساس في ثورته، فإنّ الحسين سيجيب بتلك الكلمات التي نسبت إليه قبيل أن يستشهد في كربلاء (ولو كانت بلسان الحال):

إلـهـي تـركـتُ الـخـلـق طُـرًّا فـي هـواكَ
وأيـتـمْـتُ الـعـيـالَ لـكـي أراكَ
فـلـو قـطَّـعـتَـنـي بـالـحـبّ إرْبـاً
لَـمـا مـالَ الـفـؤادُ إلـى سـواكَ

قام الحسين عليه السلام بثورته لأجل الله تعالى، لأجل لقاء الحبيب.. ليأتي مُخْلِصاً له في كلّ أعماله.. إنّ القيمة الكبيرة لعمل الحسين عليه السلام في كربلاء هو عامل الإخلاص الذي تجلّى في كربلاء.

إخلاص أصحاب الحسين عليه السلام

وأراد الحسين عليه السلام لثورته أن تقدّم أرقى نموذج في الإخلاص لله تعالى.. لم يُرِد الحسين عليه السلام الإنتصار العسكريَّ من ثورته،

فهو كان يعلم أنّه سيستشهد هو وأهل بيته وأصحابه.

فلنقارن بين هدف طارق بن زياد وهدف الحسين عليه السلام:

فطارق حينما حطَّ وجيشه الرحال على ساحل البحر، أحرق السفن وأبقى القوت ليوم واحد وخطب في جيشه قائلاً: (هذا العدوُّ أمامكم والبحر وراءكم إمّا أن تنتصروا وإمّا أن تموتوا).

كان طارق يريد الإنتصار العسكريَّ ففعل هذا..

أمّا الحسين عليه السلام فقد جمع أصحابه في ليلة العاشر من محرّم وخطب فيهم قائلاً:

«... أمّا بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهلَ بيتٍ أبرَّ ولا أوصلَ من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي جميعاً، وقد أخبرني جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنّي سأُساقُ إلى العراق، فأنزل أرضاً يقال لها عمور أو كربلا، وفيها أستشهد وقد قرب الموعد، ألا وإنّي أظنُّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وإنّي قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلٍّ ليس عليكم منّي ذمام، وهذا الليل قد غشيكم، فاتخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً، وتفرَّقوا في سوادكم ومدائنكم، فإنّ القوم إنّما يطلبونني، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري»[1].

فقام مسلم بن عوسجة وقال: «**أنحن نخلّي عنك؟ وبما نعتذر**

(١) المقرم، مقتل الحسين، ص٢١٢ - ٢١٣.

إلى الله في أداء حقك؟! أما والله لا أفارقُك حتى أطعنَ في صدورهم برمحي، وأضرب بسيفي ما ثبَتَ قائمُه بيدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلُهم به لقذفتهم بالحجارة حتّى أموتَ معك»[١].

وقال سعيد بن عبد الله الحنفي: «**والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسوله فيك، أما والله لو علمت أنّي أُقتلُ، ثمّ أحيا، ثمّ أُحرق حيّاً، ثمّ أُذرّى، يُفعلُ ذلك بي سبعين مرّة لما فارقتك حتى ألقى حِمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة، ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً**»[٢].

وقام زهير بن القين وقال: «**والله وددت أنّي قُتلت، ثمّ نُشرت، ثمّ قُتلت حتى أُقتل كذا ألفَ مرّة، وإنّ الله عزَّ وجلّ يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك**»[٣].

وهكذا تكلّم باقي الأصحاب... وفي جوف تلك الليلة خرج الحسين عليه السلام يتفقّد التلاع والروابي فلحقه نافع بن هلال الجملي خوفاً عليه، فرجع الحسين عليه السلام وقبض على يد نافع ثم قال هي هي، والله وعدٌ لا خُلْفَ فيه.

ثمّ قال عليه السلام لنافع: ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟ فوقع نافع على قدميه يُقبّلهما ويقول: «**ثكلتني**

(١) المصدر السابق، ص٢١٣.
(٢) المصدر السابق، ص٢١٤.
(٣) المصدر السابق، ص٢١٤.

أمي، إنّ سيفي بألف، وفرسي مثله، فوالله الذي منَّ بك عليَّ لا فارقتك حتى يكلا عن فري وجري»[1]. إنّهم حقّاً «**عشّاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم**».

فلنتعلّم من الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه كيف نخلص لله تعالى، فنقتبس الإخلاص درساً من دروس الحسين عليه السلام في عاشوراء؛ لنكون الأمّة المخلصة التي تنصر الله فينصرها نصراً مؤزَّراً من عزيز مقتدر.

(١) المصدر السابق، ص٢١٨ - ٢١٩.

المحاضرة السابعة

الموت في نظر الحسين عليه السلام

الموت في نظر الحسين عليه السلام

بهاء الحسين عليه السلام في طريق الموت

في العاشر من المحرَّم تعجَّب مَنْ حول الحسين عليه السلام من أمر الحسين عليه السلام، لأنّ عادة الإنسان حينما يقدم نحو الموت أن يتغيَّر لونه وترتعد فرائصه وتضطرب نفسه، لكنّ الحسين عليه السلام كان كلما اشتدَّ عليه الأمر في كربلاء وقرب من الموت سكنت نفسه وهدأت جوارحه وأشرقَ لونه نوراً وبهاءً.

قيل: انظروا إليه لا يبالي بالموت.

فقال لهم الحسين عليه السلام: صبراً بني الكرام! فما الموت إلاَّ قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضّرار إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر؟!! وما هو لأعدائكم إلاَّ كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب.

إن أبي حدَّثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جِنانهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم...[1].

يعلِّمنا الحسين عليه السلام في كلماته العاشورائيّة هذه درسين:

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص١٥٤ (وفيه، الواسطة بدل الواسعة).

الأوّل: في حقيقة الموت.

الثاني: في نظرة المؤمن إلى الموت.

حقيقة الموت

فالموت في كلام الحسين عليه السلام ليس بوّابة العدم، بل هو والحياة مخلوقان من خلق الله تعالى كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾[١].

وحقيقته أنّه جسر يعبر بالإنسان نحو عالم حقيقيّ يعيش فيه الإنسان نشأة أخرى، وعلى حدٍّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام أنّه - أي الموت - باب الآخرة، الآخرة التي خلق الإنسان ليعيش فيها الخلود بعد أن طوى مرحلة الدنيا «**ما خُلقتم للفناء، بل خُلقتم للبقاء، وإنّما تُنقلون من دار إلى دار**».

الموت: لوحة الجمال

والدرس الثاني الذي يعلّمنا إيّاه الحسين عليه السلام في موقفه العاشورائيّ من الموت هو النظرة الصحيحة إليه، هذه النظرة التي ارتسمت على وجهه الشريف في العاشر من المحرَّم، ونطقت بها شفتاه الطاهرتان في مكّة المكرّمة وهو على طريق كربلاء «**خُطَّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة**»[٢].

فالحسين عليه السلام يرى الموت أنّه محيط بالإنسان لا مفرَّ منه،

---

(١) سورة هود، الآية ٧.

(٢) المقرّم، مقتل الحسين عليه السلام، ص١٦٦.

لكنّ إحاطته كإحاطة القلادة تزيِّن الإنسان المؤمن كما تتزيّن الفتاة حينما تضع القلادة على صدرها.

لذا كان الموت في نظر الحسين عليه السلام هو سعادة، «**إنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ بَرماً**»[١].

ولذا كان آخر فعل قام به الحسين عليه السلام قبيل حزِّ رأسه الشريف أنّه ابتسم، كما ورد في بعض الروايات.. ابتسم بعد أن علَّم أهل بيته كيف يبتسمون للموت، حتّى الصغار منهم، فها هو القاسم ابن الحسن الذي لم يبلغ الحِلم سأله عمّه الحسين عليه السلام: «**كيف ترى الموت يا عمّ؟ فأجاب: إنّي أرى الموت أحلى من العسل**».

ابتسم الحسين عليه السلام للموت في كربلاء بعد أن علَّم أصحابه كيف يبتسمون له، فها هو برير قبيل شهادته يضاحك عبد الرحمن الأنصاري، فقال له عبد الرحمن: يا برير، ما هذه ساعة باطل، فقال برير: «**لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل كهلاً ولا شابّاً، وإنّما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه، فوالله ما هو إلاّ أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة، ثم نعانق الحور العين**»[٢].

لماذا نكره الموت؟

إذا كانت هذه هي نظرة الحسين عليه السلام للموت فلماذا نجد

(١) المصدر السابق، ص٢٢١.
(٢) الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٦٠١ - ٦٠٢.

الكثير من الناس، ومنهم المتَّصفون بالإيمان، يكرهون الموت، بل قد يكرهون ذكره وينفرون منه؟!!

لقد طرح هذا السؤالَ رجلٌ على أبي ذرّ رحمه الله قائلاً: ما لنا نكره الموت؟ فأجاب (ره): «**لأنّكم عمَّرتم الدنيا وخرَّبتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب**»[١].

نعم، إنّ الكاره للموت، لا يكرهه في نفسه، بل يخاف ممّا يستقبله بعده، يخاف من معاصيه وآثارها، يخاف من آثامه ونتائجها، فيكره الموت لذلك.

ذكر الموت

وقد أراد الله تعالى أن يكون ذكر الموت رادعاً للإنسان عن معاصيه بدل أن يكون مكروهاً بسببها، لذا وردت الروايات تحثّ الإنسان على ذكر الموت، ليكون ذكره منبّهاً للطاعة ومبعداً عن المعصية، فقد ورد عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت، وأفضل التفكُّر ذكر الموت، فمن أثقله ذكر الموت، وجد قبره روضة من رياض الجنّة**»[٢]، وقال علي عليه السلام في ما ورد عنه: «**أكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من القبور وقيامكم بين يدي الله عزَّ وجلَّ يهوّن عليكم المصاب**»[٣].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص١٣٧.
(٢) المصدر السابق، ص١٣٧.
(٣) شبرّ، تسلية الفؤاد، ص١٢.

وكان ثُلّة من المؤمنين محافظين على هذه السُنَّة، سُنّة ذكر الموت، فقد رُوي أنّ شابّاً من الأنصار كان يأتي عبد الله بن العبّاس، وكان عبد الله يكرمه ويدنيه، فقيل له: إنك تكرم هذا الشاب وتدنيه، وهو شاب سوء يأتي المقابر فينبشها بالليالي، فقال عبد الله بن العبّاس: إذا كان ذلك فأعلموني، فخرج الشابّ في بعض الليالي يتخلّل القبور، فأعلم عبد الله بن العبّاس بذلك، فخرج لينظر ما يكون من أمره، ووقف ناحية ينظر إليه من حيث لا يراه الشابّ فدخل الشابّ قبراً قد حُفر، ثمّ اضطجع في اللّحد، ونادى بأعلى صوته: (يا ويحي إذا دخلت لحدي وحدي، ونطقت الأرض من تحتي فقالت: لا مرحباً بك ولا أهلاً، قد كنت أبغضك وأنت على ظهري، فكيف وقد صرت في بطني؟! بل ويحي إذا نظرت إلى الأنبياء وقوفاً والملائكة صفوفاً، فمِن عدلك غداً من يُخلّصني، ومن المظلومين من يستنقذني، ومن عذاب النار من يجيرني، عصَيْتُ من ليس بأهلٍ أن يُعصى، عاهدت ربّي مرّة بعد أخرى، فلم يجد عندي صدقاً ولا وفاء)، وجعل يردّد هذا الكلام ويبكي، فلمّا خرج من القبر التزمه ابن العباس وعانقه ثم قال: نِعْمَ النبّاش! نِعْمَ النبّاش! ما أنبشكَ للذنوب والخطايا[1].

ملك الموت والسلطة الواسعة

إنّ ذكر الموت هو ذكر لواقع الإنسان الذي سيقبل عليه، ليتهيّأ

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص١٣.

الإنسان لإستقبال ذلك الواقع الذي لا مفرَّ منه، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[1]، إلى أين يفرّ الإنسان من الموت؟! وقد أعطى الله السلطة الواسعة لملك الموت كما تفيد رواية المعراج عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال فيها: «**لمّا أُسريَ بي إلى السماء رأيت مَلَكاً من الملائكة بيده لوح من نور لا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه ثبّه كهيئة الحزين، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟! فقال: هذا مَلَك الموت مشغول في قبض الأرواح، فقلت: أدنني منه يا جبرئيل لأكلّمه، فأدناني منه، فقلت له: يا مَلَك الموت، أكلُّ من مات أو هو ميّت فيما بعد أنت تقبض روحه؟ قال: نعم، قلت: وتحضرهم بنفسك؟ قال: نعم، ما الدنيا عندي فيما سخَّرها الله لي، ومكّنني منها إلا كدرهم في كفّ الرجل يقلّبه كيف يشاء، وما من دارٍ في الدنيا إلاّ وأدخلها في كلّ يوم خمس مرّات، وأقول إذا بكى أهل البيت على ميّتهم: لا تبكوا عليه، فإنّ لي إليكم عودة وعودة حتى لا يبقى أحد منكم**»[1].

إلى أين يفرّ الإنسان من الموت؟!

وهل تمنعه حصون العالم من ملك الموت؟!

إنّ صورة من يختبىء من الموت ويفرّ منه هي تلك الصورة التي أنشدها الإمام عليّ الهادي عليه السلام وهو يعظ المتوكّل لعنه الله:

---

(١) المصدر السابق، ص١٤١.

باتواعلى قُللِ الأجيال تحرُسهم
غُلْبُ الرِّجال فما أغنتْهُمُ القُللُ
وإستُنزلوا من بعد عزٍّ عن معاقلهم
فأُوْدِعوا حُفَراً يا بئسَ ما نزَلوا
ناداهم صارخٌ من بعد ما قُبروا
أين الأسِرَّةُ والتِّيجانُ والحُلَلُ
أين الوجوه التي كانت منَعَّمةً
من دونها تُضرب الأستار والكِلَلُ
فأفصح القبر عنهم حين ساءَلَهم
تلك الوجوه عليها الدُّود يقتتلُ
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا
فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكِلوا
وطالما عمَّروا دوراً لتُحصنَهم
ففارقوا الدُّور والأهلين وانتقلوا
وطالما كَنزوا الأموال وادَّخروا
فخلَّفوها على الأعداء وإرتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطَّلةً
وساكِنوها إلى الأجداثِ قد رَحلوا[1]

(١) الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، ج٢، ص٤٧١.

سكرة الموت

وتأتي ساعة الإنتقال إلى عالم الآخرة، ساعة لقاء ملك الموت، الساعة التي لا بدّ منها، وفيها تكون السكرة ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[١]، قد يكون حول المُحتَضَر أهل يبكون وأحبَّة يودّعون، لكنّه يكون متوجّهاً إلى غير ما يتوجّهون، فنظره ليس إليهم، وفكره ليس عندهم، وتذكّره ليس لهم، إنّه يتذكَّر أشياء أخرى، يتذكَّر ماضيَه، يتذكّر ظلمه وجرائره، يتذكَّر نِعَمَ الله التي منحها إيّاه فاستعملها بغير رضاه، ومن جملة ما يتذكّر ما ورد في حديث أمير المؤمنين عليه السلام وهو يحدِّثنا عن حالة المحتَضَر «**يتذكَّر أموالاً جمعها، أغمض في مطالبها، وأخذهامن مصرّحاتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعاتُ جمْعِها، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون بها، فيكون المهنأ لغيره والعبء على ظهره**»[٢].

ويحاول الإنسان في تلك اللّحظة أن يستنجد بما تعلّق به في الدنيا، فيكون الجواب كما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «**إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا، وأوّل يوم من أيّام الآخرة مُثّل له مالُه وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إنّي كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك.**

---

(١) سورة ق، الآية: ١٩.

(٢) نهج البلاغة، شرح محمّد عبده، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩٣، ص٣٣٩ - ٣٤٠.

فيلتفت إلى ولده فيقول: والله إنّي كنت لكم محبًّا، وإنّي كنت عليكم محامياً فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك نواريك فيها. فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إنّي كنت فيك لزاهداً، وإنّك كنت عليَّ لثقيلاً فماذا لي عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك، ويوم حشرك حتى أُعرَض أنا وأنت على ربّك»[1].

قبض الروح

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[2].

ويدخل ملك الموت بدون استئذان، يدخل منادياً الروح أن تنطلق إلى ربِّها، والمحيطون بالميِّت عنه غافون به لا يشعرون، وهو الذي حدَّثنا عنه أمير المؤمنين: «**هل تحسّ به إذا دخل منزلاً؟! أم هل تراه إذا توفَّى أحداً؟، بل كيف يتوفَّى الجنين في بطن أمّه؟ أيلِج عليه من بعض جوارحها؟ أم الروح أجابته بإذن ربِّها؟ أم هو ساكنٌ معه في أحشائها؟**»[3].

كيف يقبض ملك الموت روحك؟

أنت الذي تقرِّر ذلك؟

---

(١) شبرّ، تسلية الفؤاد، منشورات الأعلمي، بيروت، ١٩٩٩، ص٨٩.

(٢) سورة القيامة، الآيات ٢٦ - ٣٠.

(٣) نهج البلاغة، ص٢٤٨، خطبة رقم ١١١، المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص١٤٣.

فإن كنت متعلّقاً بالدنيا تعلّقاً تريد به إبقاء روحك فيها، فإنّ جذبة الموت ستكون قاسية.

وأيّة قسوة هي؟! القسوة التي تكفي صورتها عذاباً.

فها هو خليل الله إبراهيم عليه السلام يقول لملك الموت: هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر؟ قال: لا تطيق ذلك، قال: بلى، قال: فأعرض عني، فأعرض عنه، ثمّ التفت، فإذا هو برجلٍ أسود، قائم الشعر، منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان، فغشي على إبراهيم، ثمّ أفاق، فقال: لو لم يلق الفاجر عند موته إلّا صورة وجهك لكان حسبه»[1].

إنّها القسوة التي قال عنها محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام: «**إنّ ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر نزل معه سَفّود من نار، فنزع روحه به فتصيح جهنّم**»[2]، هذه القسوة تختصّ بأولئك المنحرفين البعيدين عن الله.

أمّا المؤمن المطيع الذي عرف أنّ الدنيا مزرعة الآخرة، فعمل على الزرع فيها من خلال الطاعات، وحافظ على زرعه بعدم إرتكاب المعاصي، فإنّه لن يكون عند الإحتضار متعلّقاً بهذه الدنيا بل سيسلم روحه لملك الموت الذي يقف أمامه كالعبد الذليل، كما أجاب النبيّ من سأله: كيف يتوفّى ملك الموت المؤمن؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص١٤٣.
(٢) المصدر السابق، ص١٧٠.

«إن ملك الموت ليقف من المؤمن عند موته موقف العبد الذليل من المولى، فيقوم هو وأصحابه لا يدنو منه حتى يبدأ بالتسليم، ويبشّره بالجنّة»[١].

وعندها يسلُّ ملك الموت روح المؤمن بكلّ راحة وإنسياب **«كما تُسلُّ الشعرة من الدقيق»**[٢].

فيكون الموت للمؤمن **«كأطيب طيب يشمّه، فينعس لطيبه، وينقطع التعب عنه»**[٣].

هذا هو الموت السعادة، كالقلادة على جيد الفتاة، هو أحلى من العسل، هو المستقبَل بإبتسامة، لكنّه رهين بأن ينطبق علينا العنوان الكبير ألا وهو **«المؤمن»**.

نداء السماء

وتنفصل الروح عن جسدها، لتبدأ رحلة طويلة في منازل الآخرة، ومع بداية الرحلة، وعند مفارقة الروح للجسد ينادَى الإنسانُ من السماء بثلاث صيحات:

١ - يا ابن آدم أَتركتَ الدنيا أم الدنيا تركتك؟!

٢ - أجمعتَ الدنيا أم الدنيا جمعتك؟!

٣ - أقَتلتَ الدنيا أم الدنيا قتلتك؟!

---

(١) المصدر السابق، ص١٦٧.

(٢) الرواية عن الامام الحسن العسكري كما في تسلية الفؤاد ص٥٨.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص١٧٢.

ويوضع الميت على المغتسل لتتابع السماء نداءها:

١ - يا ابن آدم أين بدنك القويّ؟ ما أضعفك!!

٢ - أين لسانك الفصيح؟ ما أسكتك!!

٣ - أين أحباؤك؟ ما أوحشك!!

ويُلفّ الميت بثوب الآخرة فتناديه السماء:

«تذهب إلى سفر بعيد بغير زاد، وتخرج من منزلك فلا ترجع أبداً، وتصير إلى بيت أهول».

القبر: بيت الوحشة:

وأي بيت هو؟!

إنّه بيت الوحشة..

إنّه بيت الدود..

إنّه بيت السؤال..

يقول يونس وهو أحد أصحاب الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام:

حديث سمعته عن أبي الحسن عليه السلام ما ذكرته وأنا في بيت إلاّ ضاق عليَّ: **«إذا أتيت بالميت إلى شفير القبر فأمهله ساعة فإنّه يأخذ أهبته للسؤال»**[1].

وقد ورد أنّ السيدة فاطمة عليها السلام أوصت أمير المؤمنين عليه السلام **«إذا أنا متّ فتولَّ أنت غسلي، وجهزني، وصلّ عليَّ، وأنزلني في**

(١) ورد الحديث بهذا المضمون في بحار الأنوار، ج٨٢، ص٢٨.

قبري، وألحدني، وسوّ التراب عليَّ، واجلس عند رأسي قبالة وجهي، فأكثر من تلاوة القرآن والدعاء، فإنّها ساعةٌ يحتاج الميت فيها إلى أُنس الأحياء»[1].

فلنستعدَّ لبيت الوحشة حيث لا قريب ولا حبيب.

ولنطوّر العلاقة بالله الحبيب الأوّل والآخر؛ ليكون هو الأنيس في بيت الوحدة ولنردّد الدعاء: «**يا عدتي في كربتي ويا أنيسي في وحدتي...**»، وحينئذٍ لا نبالِ بالقبر، بل لا نبالِ بالجسد، كما لم يبالِ استشهاديّو المقاومة الإسلاميّة الذين تناثرت لحومهم في الهواء، فلا قبر لهم ولا جسد، فذابوا في الله، لأنّهم عرفوا حقيقة الموت، وتعلّموا من الحسين عليه السلام كيف ينظرون إلى الموت.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٢، ص٢٧.

المحاضرة الثامنة

الحسين عليه السلام

في سورة الفجر

الحسين عليه السلام في سورة الفجر

عن الإمام الصادق عليه السلام: «اقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم، فإنّها سورة الحسين عليه السلام وارغبوا فيها رحمكم الله».

فسُئل: كيف صارت هذه السورة للحسين عليه السلام خاصّة؟

فقال عليه السلام: «ألا تسمع... ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، إنّما يعني الحسين بن عليّ عليه السلام فهو ذو النفس المطمئنّة الراضية المرضيّة، وأصحابه من آل محمّد صلى الله عليه وآله الراضون عن الله يوم القيامة، وهو راضٍ عنهم، وهذه السورة في الحسين بن علي عليه السلام وشيعته وشيعة آل محمّد خاصّة، من أدمن قراءة الفجر كان مع الحسين عليه السلام في درجته إنّ الله عزيز حكيم»[1].

نعم كان الحسين عليه السلام المصداق البارز للنفس المطمئنّة التي رضيت بالله ورضي الله بها، فحريٌّ بنا في ذكرى الحسين بن علي عليه السلام أن نفهم هذه المرتبة من النفس لعلّنا نتوفّق للوصول إليها؛ ليكون نداؤنا عند الموت: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾.

---

(١) المشهدي، تفسير كنز الدقائق، ج١١، ص٣٥٤.

مراتب النفس

حدَّثنا القرآن الكريم عن مراتب ثلاث للنفس الإنسانيّة:

١ - النفس التي تأمر صاحبها بالسوء وتدفعه نحو المنكر، تلك التي عبَّر الله عنها بقوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

٢ - وقد ترتقي نفس الإنسان لتصل إلى مرتبة تلومه عند فعل المعاصي واقتراف الآثام، تلك المرتبة التي عبَّر الله عنها بقوله: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.

٣ - وقد ترتقي نفس الإنسان لتصل إلى مرتبة الإستقرار حيث لا تزلزلها عواصف الإبتلاء، ولا تجرفها أمواج النِّعَم، فهي مطمئنّة هادئة في كلّ شؤونها في الدنيا، فيجيئها النداء من الله تعالى حين موتها: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

نماذج النفس المطمئنّة

وكما كان الإمام الحسين عليه السلام النموذج الكامل للنفس المطمئنّة، فقد كان جدّه الحبيب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم النموذج الأرقى لهذه النفس في كلّ مسارات حياته على رغم المعاناة الكبيرة التي عاشها حتى قال: «**ما أوذي نبيّ بمثل ما أوذيت**» كان يقول بكلّ اطمئنان وثبات: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في**

شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته»[١].

وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام النموذج الأرقى للنفس المطمئنّة وهو القائل يوم الضربة «**فزت وربّ الكعبة**»، حتى ورد أنّ سورة الفجر نزلت في عليّ عليه السلام أيضاً[٢].

وكان أنبياء الله وأولياؤه عبر التاريخ نماذج راقية للنفوس المطمئنّة التي استقرّت وهدأت في الرخاء والبلاء، فها هو نبيّ الله أيّوب عليه السلام الذي يُروى في قصّته - على رغم بعض الإسرائيليّات فيها - أنّه كان أباً لعدّة أولاد، وذا مال كثير، وصحّة وعافية، فابتلاه الله بماله حتى ذهب جميعه في يوم واحد، وحينما جاءه أحدهم يخبره بذلك، قال له: يا أيّوب: أتدري ما فعل ربُّك بأموالك؟!! لقد ذهبت جميعها.

ماذا كان موقف نبيّ الله أيّوب عليه السلام ؟

قال له بكلّ اطمئنان: «**الحمد لله حين أعطاني وحين نزع منّي، عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود في التراب، وعرياناً أُحشر إلى الله تعالى**»[٣].

وبمثل هذا كان جواب أيّوب حينما ابتُلِيَ بفقدان أولاده: «**إنّهم**

---

(١) الحسني، سيرة المصطفى، منشورات دار القلم، بيروت، ط٣، ص١٥٢.
(٢) المشهدي، كنز الدقائق، ج١١، ص٢٥٣.
(٣) انظر: الحسني، الانبياء، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ص٢٤٥.

عباده وهو أرأف بهم من أبيهم وأمّهم».

وبقي أيّوب مطمئنّاً مستقرّاً في عبادة الله حينما لحق البلاء جسده فلم تهزّه كلّ هذه البلاءات لأنّه كان صاحب نفس مطمئنّة.

أساس الإطمئنان

لماذا كان هؤلاء العظام أصحاب أنفس مطمئنّة؟

وما فرّقهم عن باقي الناس الذين يتزلزلون عند أيّ بلاء وينجرفون مع أمواج النِّعمَ؟

إنّ سبب اطمئنان الأنبياء والأولياء الذي يُفرِّق بينهم وبين سائر الناس هو فهمهم للحياة.

فقد كان الحسين وجدّه وأبوه وأيّوب وسائر الأنبياء يعرفون بعقولهم وقلوبهم أنّ الحياة لا تقتصر على هذه الدنيا، بل تمتدّ عبر مسار طويل تمثّل الدنيا فيه حقبة قصيرة من عمر الحياة التي يستكملها الإنسان بعد الموت في برزخ يستمرّ إلى يوم القيامة ومن ثَمَّ المقرّ الأبدي.

مشكلة كثير من الناس أنّهم لا يؤمنون بحياة غير هذه الحياة، وإن آمنوا نظريّاً فهم لا يتفاعلون معها على أنّها واقع سيقبلون عليه.

حوار مع الجنين

إنّ حال الكثير من الناس كحال الجنين وهو في بطن أُمّه، فلو

افترضنا أنّ الله تعالى أعطى الجنين قوّة الفهم والجواب، فحاورناه قائلين، كم ترى حجم الحياة؟ فإنّه سيجيب: إنّ حجمها بحجم رحم أمّي هذا، فلو قلنا له: أيّها الجنين إنّ هناك حياة أوسع بكثير من رحم أمّك، فيها الأطعمة اللّذيذة، والأشربة الممتعة و....، فإنّه لا يصدّق ... لا يصدّقُ أنّ هناك طعاماً وشراباً هو ألذّ من طعم الدم الذي يتغذّى به في رحم أمّه.

وحينما تأتي القابلة لتخرج الجنين، فإنّه يتشبّث برحم أمّه، وحينما يخرج فإنّه يصرخ، يفسّر البعض ذلك تفسيراً شاعريّاً خاصّاً، فيقول: إنّ الجنين يتشبّث برحم أمّه لأنّه لا يؤمن بحياة أخرى غير حياة الرَّحِم، وحينما يخرج يصرخ صرخة المفاجأة، المفاجأة بالعالم الجديد!

حوار مع الإنسان

إنّ هذا الحوار الفرضيّ تحقّق معنا لكن بشكل واقعيّ، حوار يبتدىء بخطاب مع الإنسان القابع في زاوية من زوايا الدنيا، جاء من ربّ العالمين في أقدس كتاب هو القرآن الكريم، يخبرنا الله فيه عن حياة أخرى بتفاصيل مثيرة دقيقة، لنعيش معها الحدث الواقع المقبل قبل أن نصل إليه.

معالم الجنّة

فأخبرنا تعالى عن تفاصيل مذهلة لدار النعيم الأبديّ التي

أُعدَّت للمتّقين، فماذا تريد أن تعرف عن الجنّة؟

❖ حجمها؟

يجيب تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾[١].

❖ بيوتها؟

يجيب تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[٢].

ويقول تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾[٣].

❖ فرش الجنة؟

يجيب تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾[٤].

❖ ما هو حَشْوَ تلك الفرش؟

يجيب تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[٥].

❖ أسرَّتها؟

يجيب تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾[٦] و ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾[٧].

❖ كيف يجلسون على تلك السرر؟

يجيب تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[٨] ﴿وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ﴾[٩].

---

(١) سورة عمران، الآية: ١٣٣.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٠.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٢.
(٤) سورة الواقعة، الآية: ٣٤.
(٥) سورة الواقعة، الآية: ١٥.
(٦) سورة الواقعة، الآية: ١٥.
(٧) سورة الزخرف، الآية: ٣٤.
(٨) سورة الصافات، الآية: ٤٤.
(٩) سورة الزخرف، الآية: ٣٤.

❖ أبوابها؟

يجيب تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾[١].

❖ أنهارها؟

يجيب تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[٢].

❖ شراب أهل الجنّة؟

يجيب تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾[٣].

❖ طعام أهل الجنّة؟

يجيب تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٤].

❖ فاكهة أهل الجنة؟

يجيب تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[٥]، ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾[٦]، ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ

(١) سورة ص، الآية: ٤٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥.
(٣) سورة محمّد، الآية: ١٥.
(٤) سورة الواقعة، الآية: ٢١.
(٥) سورة الواقعة، الآية: ٣٢.
(٦) سورة الرحمن، الآية: ٥٢.

زَوْجَانِ﴾ (١)، ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (٢).

❖ لباس أهل الجنّة؟

يجيب تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (٣).

❖ حُلَلُ أهل الجنّة؟

يجيب تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ (٤).

❖ نساء أهل الجنّة؟

يجيب تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (٥).

❖ خُدَّام أهل الجنّة؟

يجيب تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ (٦).

هذا نموذج ممّا عرضه القرآن الكريم عن معالم الجنّة.

معالم جهنّم

وافتح القرآن وأسأله عن معالم جهنّم لتجد تفاصيل ذلك العالم، أسأله عن:

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ١١.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٦٨.
(٣) سورة الحج، الآية: ٢٣.
(٤) سورة الحج، الآية: ٢٣.
(٥) سورة الحج، الآية: ٥٦.
(٦) سورة الواقعة، الآية: ١٧.

❖ وَقودها؟

فإنّ القرآن سيجيب: ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[١].

❖ عن طعام أهل جهنّم؟

فيجيب تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[٢].

❖ عن شراب أهل جهنّم؟

فيجيب تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾[٣]، والغساق هو ما يسيل من صديد أهل النار وفروج أهل الزنا كما ورد في تفسيره، ويجيب تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾[٤].

❖ عن لباس أهل جهنّم؟

فيجيب تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾[٥]، ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾[٦].

جهنّم بين الإحتمال واليقين

إذا كانت جهنّم هي هذه، والجنّة هي تلك، فكيف يعصي المؤمن

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤.
(٢) سورة الدخان، الآية: ٤٦.
(٣) سورة النبأ، الآية: ٢٥.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٩.
(٥) سورة الحج، الآية: ٢٠.
(٦) سورة ابراهيم، الآية: ٥٠.

بهما ربَّه تعالى؟ وكيف لا تطمئنُّ نفسه بطاعته؟!!

لو كانت جهنّم والجنّة إحتمالاً لا يقيناً للزم على الإنسان أن يطيع ولا يعصي، فكيف إذا كان يعتقد بهما اعتقاداً جازماً!!

يقول العلماء: إنّ الذي يحرِّك الإنسان في حياته، هو قوَّة المحتمل لا قوة الإحتمال، فمثلاً لو كان الإنسان في جيبه قطعة مالية حقيرة، واحتمل بنسبة ٧٠٪ أنّها وقعت من جيبه فقد لا يكترث هذا الإنسان بالأمر ولا يحاول التأكّد من المسألة، لكن لو كان في جيب نفس الشخص «شيكٌ» بمبلغ كبير من المال واحتمل بنسبة ٥٪ أنّه وقع لانتفض مباشرة وتأكّد من الأمر.

ففي الصورة الأولى كان الإحتمال ٧٠٪ لكنّه لم يُحرِّك الإنسان، لأنّ المحتمل ضعيف.. وفي الصورة الثانية كان الإحتمال ٥٪ لكنّه حرَّك الإنسان، لأنّ المحتمل قويّ.

إذاً المحرّك للإنسان هو قوّة المحتمل لا قوّة الإحتمال، فكيف إذا كان المحتمل هي جهنّم التي ورد أنّ نار الدنيا هي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم أطفئت بالماء سبعين مرّة وإلاَّ لما أطاقها الناس، ويؤتى بنار الدنيا يوم القيامة فتوضع في نار جهنّم فتصرخ نار الدنيا صرخة لا يبقى معها ملك مُقرَّب ولا نبيّ مرسل إلا جثا على ركبتيه فزعاً من صرختها[1]، إذا كانت جهنّم إحتمالاً لكفى بها رادعاً عن معصية الله، فكيف إذا كانت يقيناً وجزماً؟!

(١) انظر: شبرّ، تسلية الفؤاد، ص٢٤٠ - ٢٤١.

التغافل

ويتغافل الإنسان ويضع يديه على أذنيه كي لا يسمع نداء الله... ويبقى القرآن يُردّد لحنَ الجنّة وزفيرَ جهنّم لعلَّ الإنسان يدنو من رحمة الله تعالى.. ويُعيد النظر في كثير من الأمور في حياته.

الموت الجميل

حينما يعيش الإنسان حالة اليقين بوجود عالم الآخرة في عقله وقلبه معاً فإنّ تعامله مع الدنيا سيختلف عن تعامل بقيّة الناس معها، سيتعامل معها على أساس أنّها - كما عبَّر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم - مزرعة الآخرة فيزرعها بالطاعات ويحافظ على زرعه بتجنّب المحرَّمات التي تحرقها، حينها ستصبح نفسه مطمئنّة عند النِّعَم والبلاء..

حينها ستختلف نظرته إلى الموت.. سيفهم لماذا كان الحسين في كربلاء كلّما تقدم نحو الموت هدأت نفسه وسكنت جوارحه وأشرق لونه نوراً وبهاءً، حينها سيفهم لماذا قال القاسم الصغير لعمّه الحسين عليه السلام: إنّي أرى الموت أحلى من العسل.. سيفهم لماذا مازح برير صاحبه في عاشوراء قُبيل الشهادة.. سيفهم كيف ابتسم أحد مجاهدي المقاومة الإسلامية الاستشهاديّين قبيل تفجير سيّارته.. حينها سيفهم موقف السيّدة فاطمة الزهراء في محضر إحتضار أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهي تبكي طويلاً فأومأ إليها رسول الله بالدنوّ فدنت منه فأسرَّ إليها شيئاً تهلّل له وجهُها فسُئلت

فاطمة، بعد ذلك: ما الذي أسرَّ إليك رسول الله؟

فأجابت: أخبرني أنّني أوّل أهل بيته لحوقاً به، وأنّه لن تطول المدّة بي بعده حتى أدركه[1].

من كان حاله كحال السيّدة الزهراء في فهم الحياة فإنّه سوف يستسلم لملك الموت حينما يأتي داعياً الروح لأمر ربّها فيسُلُّها كما تُسَلُّ الشعرة من الدقيق.. أمّا من لم يفهم معنى تلك الحياة فإنّ نزع الروح منه سيكون قاسياً، لأنّه سيتشبّث بروحه عند نداء الموت، كما تشبّث ذلك الجنين برَحِم أمّه؛ لأنَّه لا يتفاعل مع حياة أخرى غير الحياة الدنيا، فيتشبث ويكون النزع القاسي بسبب فهمه للحياة. وبهذا يُفسِّر بعض العلماء تلك الروايات المصوِّرة لعمليّة قبض الروح، فيفسّرون قسوة النزع بأنّها تكون بسبب تمسّك الإنسان بروحه، حتى يُخيَّلَ إليه أنّ أطباق السموات والأرض كلّها وقعت عليه وطبَّقتْه.

الحسين عليه السلام يبتسم للموت

أمّا الحسين عليه السلام فكان صاحب النفس المطمئنّة، فهِمَ معنى الحياة فاستقبل الموت بتلك الإشراقة، حتى كانت الإبتسامة هي آخر عمل قام به الحسين عليه السلام قبيل استشهاده.. فكان صاحب النفس المطمئنّة.

(١) انظر: المازندراني، الكوكب الدري، منشورات الشريف الرضي، قم ص١١٥.

فلنتعلَّمْ من الحسين عليه السلام كيف تصل نفوسنا إلى مرتبة السكينة والإطمئنان في الدنيا ليكون نداؤها من السماء:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

المحاضرة التاسعة

الولاية

في مدرسة الحسين عليه السلام

الولاية في مدرسة الحسين عليه السلام

قال الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[١].

طاعة الله

إنّ عقل الإنسان كما يدلّه على معرفة الله تعالى يدلّه على وجوب طاعته في كلّ شؤون حياته، وبهذا يتحقّق معنى العبوديّة التي يترك الإنسان فيها ما تستهويه نفسه من ذوق خاصّ يبعده عن طاعة ربّ العالمين، فينساق لأمر الله منطلقاً من معرفته بأنّه العليم الحكيم.

وبهذا يتجنّب الإنسان أن يقع في مشكلة إبليس الذي انجذب لهواه بعيداً عن طاعة ربّه. وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أُمر إبليس بالسجود لآدم، فقال: يا ربّ وعزّتك إن أعفيتني من السجود لآدم عليه السلام لأعبدك عبادة ما عبدك أحد قطُّ مثلَها، قال الله جلَّ جلاله: إنّي أحبّ أن أُطاع من حيث أريد**»[٢].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) الراوندي، قصص الأنبياء، تحقيق اليزدي، منشورات مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، ط١، ص٤٣.

طاعة الرسول

وأراد الله أن تكون طاعته عبر طاعة خاتم الأنبياء محمّد ﷺ التي تنطلق من الإيمان بعصمة النبيّ الكريم التي أخبر الله عنها بقوله: ﴿مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[١]، وقد أخبر الله تعالى عن إرتباط المؤمنين بالرسول الأكرم، وإطاعتهم له بأبلغ تعبير في ما قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[٢].

وقد سُئل النبيّ ﷺ: «**ما هذه الولاية التي أنت أولى بها من أنفسنا؟ فأجاب: السمع والطاعة فيما أحببتم وكرهتم**»[٣]؛ لأنّ طاعة النبيّ ﷺ ليست طاعة لشخص تنطلق أوامره من ذاتيّاته، بل من إرادة الله سبحانه وتعالى، من هنا فإنّ أمر النبيّ ﷺ ونهيه مقدَّمان على ما تهوى النفس وتميل إليه، وهذا ما أكَّده صلوات الله عليه وآله حينما قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»[٤].

طاعة أولي الأمر

وفرض الله على الناس إطاعة أولي الأمر منهم بعد طاعة الرسول الأكرم ﷺ، وقد روى جابر بن عبد الله الأنصاري أنه «**لما أنزل الله عزّ وجلّ على نبيه محمّد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ**

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦.
(٣) انظر: التبريزي، المراقبات، منشورات دار السلام، بيروت، ص٢٤٩.
(٤) انظر: مغنية، التفسير الكاشف، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، ج٦، ص١٩٣.

﴿اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن «أولي الأمر» الذين قرن طاعتهم بطاعته؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «هم خلفائي يا جابر، وأئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثم الحسين، ثمّ علي بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سَمِيّي محمّد وكُنيّي حجّة الله في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكرُه على يديه مشارق الأرض ومغاربها...»[١].

وقد حدَّد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وظائف أولي الأمر بعده التي منها:

الأولى: وهي تدخل في إطار التشريع وإكمال تبليغ الدين، وعن هذه الوظيفة قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي تارك فيكم الثَّقَلَيْن كتاب الله وعترتي أهل بيتي (ما إن تمسكتم بهما لن تَضِلّوا بعدي أبداً)، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[٢]. وقد تحدّثت عن هذه الوظيفة في المحاضرة الأولى.

---

(١) المشهدي، تفسير كنز الدقائق، ج٢، ص٤٩٣.

(٢) الطبري، المسترشد، ص٥٦، وكذا انظر كتاب «حديث الثقلين» منشورات دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، القاهرة.

الثانية: تدخل في إطار قيادة الأمّة والحاكميّة في المجتمع، ولتحديد وليِّ الأمر الأوّل، وإعلان قيادته على الناس أوقف النبيّ ﷺ عشرات الآلاف من المسلمين بعد رجوعه من الحجّ في منطقة غدير خُمّ، وأمر أن يُصنع له منبر في جوٍّ شديد الحرّ في وقت لو طُرح اللّحمُ فيه على الأرض لانشوى[١]. وصعد النبيّ ﷺ المنبر ورفع عليّاً إليه وقال: أيّها الناس، من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله، فقال ﷺ: ألا من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأنصر من نصره، واخذل من خذله»[٢].

الخلفاء اثنا عَشَر

ولم تغمض عينا رسول الله ﷺ حتى حدَّد للأمّة المرجعيّة الدينيّة والقيادة السياسيّة إلى يوم القيامة فقال ﷺ - كما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما وهما أوثق كتابين عند أهل السُّنَّة بعد القرآن الكريم، والنصُّ لمسلم - : «**لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش**»[٣].

وكما تعدَّدت صيغ هذا الحديث في صحيح مسلم، تعدَّدت في

(١) انظر المراقبات، ص٢٥١.
(٢) انظر المصدر السابق، ص٢٥٢.
(٣) صحيح مسلم، منشورات دار الفكر، بيروت ١٩٩٢ ج٢، ص١٨٤.

مُسند أحمد بن حنبل الذي فيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يزال هذا الأمر مؤاتي أو مقارباً حتى يقوم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش**»[١].

وفيه أيضاً عن جابر بن سَمُرَة: جئت أنا وأبي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: «**لا يزال هذا الأمر صالحاً حتى يكون اثنا عشر أميراً، ثمّ قال كلمة لم أفهمها، قلت لأبي ما قال: قال: قال: كلّهم من قريش**»[٢].

دور الولاية في الدنيا والآخرة

وشدَّد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاؤه عليهم السلام على أهميّة ولاية أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودورها في حفظ الدين والأمّة في الدنيا وآثارها في الآخرة.

في الدنيا

فها هو أمير المؤمنين عليه السلام يتحدّث عن دور الولاية في الأمّة فيقول: «**مكان القيِّم من الأمر مكان النِّظام من الخَرَز يجمعه ويضمّه، فإذا انقطع النظام تفرَّق الخرز وذهب، ثمّ لم يجتمع بحذافيره ابداً**»[٣].

فالإمامة في قول الإمام هي كالسِّلْك الذي ينظِمُ الخرز، فإذا انقطع السلك تفرَّق الخرز وضاع.

---

(١) مسند الامام احمد بن حنبل، منشورات دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٤م، ج٦، ص١٢٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) بيضون، تصنيف نهج البلاغة، منشورات مكتب الاعلام الاسلامي، قم ١٤٠٨هـ، ص٣٢٧.

عند الموت

وأخبر النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين أنّ عدم معرفة الإمام توجب الكفر عند الموت، فقال في الحديث المشهور عنه عند كلّ المسلمين: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة**».

في القبر

وللولاية دور في قبر الإنسان، كما رُوي عن أحد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام: «**إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستُّ صور، فيهنّ صورة أحسنهنَّ وجهاً، وأبهاهُنَّ هيئة، وأطيبِهِنَّ ريحاً، وأنظفِهِنَّ صورةً، فتقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجله، وتقف التي هي أحسنُهنَّ فوق رأسه، فإن أتى عن يمينه منعته التي عن يمينه، ثمّ كذلك إلى أن يؤتى من الجهات السّتّ، فتقول أحسنُهنّ صورة: ومن أنتم جزاكم الله عنّي خيراً؟**

فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحجُّ والعُمرة، وتقول التي عند رجليه: أنا برُّ من وصلت من إخوانك، ثمّ يقلن: من أنت؟ فأنت أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً وأبهانا هيئة؟ فتقول: أنا الولاية لآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين»[1].

(١) شبرّ، تسلية الفؤاد، ص٩٣.

يوم القيامة

ونطق القرآن الكريم بدور الولاية يوم القيامة حينما قال: «**يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم**»[١]، فكلّ إنسان يُحشر يوم القيامة مع الإمام الذي كان يتولّاه في الدنيا، فإن كان إمام حقّ فارتباطه به ينفعه في ذلك اليوم، أمّا إن كان إمام باطل فقد أعطى القرآن نموذجاً عن مصير المرتبطين به في حديثه عن فرعون حينما يَقْدُمُ يوم القيامة مَنْ كان يتولّاه في الدنيا نحو مصير واحد: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾[٢].

ولاية عليّ عليه السلام في صدر الإسلام

ورغم كلّ هذا التركيز والتشديد على أهميّة الولاية ودورها ومكانتها وعقوبة مخالفتها، فقد تخلَّفت الأمّة بأغلبها عن ولاية الإمام عليّ عليه السلام، ثمّ جاء عليّ عليه السلام ليتولّى سدَّة الحكم بعد مقتل عثمان، وكانت التجربة المريرة في صفّين، وأغلب الناس كانوا مضلَّلين على المستوى الفكريّ أو تابعين لأهوائهم على المستوى العمليّ، فلم يتوقّفوا للإرتباط الحقيقيّ بالولاية الإلهيّة المتمثّلة بالإمام عليّ عليه السلام، وعانى عليّ عليه السلام في ذلك المجتمع المعاناة المريرة حتى قال لأصحابه في صفّين: «**صاحبكم - يعني نفسه - يطيع الله وأنتم تعصُونه وصاحب أهل الشام يعصي الله وهُم**

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧١.
(٢) سورة هود، الآية: ٩٨.

يُطيعونه، لَـودِدْتُ والله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منّي عشرة وأعطاني رجلاً منهم»[1].

نعم ثلّةٌ قليلة كانت تفهم عليّاً وقد ارتبطت به الإرتباط بالمعصوم فعلمت أنّ إطاعته كإطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تتمّ بتسليم مطلق، وقسم من هؤلاء لم يكونوا في «صفّين»، إذ توفّاهم الله قبل ذلك، منهم سلمان الذي أجرى حواراً مع أبي ذرّ الغفاريّ ينطوي على فهم عميق لعصمة الإمام عليّ عليه السلام، فقد قال سلمان لأبي ذرّ: يا أبا ذرّ، هَبْ أنّك دخلت على عليّ عليه السلام في المسجد ووجدته يشرب الخمر، ماذا تفعل؟

فأجاب أبو ذرّ بأنّه لا يمكن له أن يتصوّر هذا المشهد حتى يجيب، فأصرَّ عليه سلمان وأبو ذرّ يرفض تصوُّر المشهد.

فقال له سلمان: سلني أنت هذا السؤال، فسأله أبو ذرّ: يا سلمان هب أنك دخلت على علي عليه السلام في المسجد ووجدته يشرب الخمر، ماذا تفعل؟

فأجاب سلمان: أجلس وأشرب معه..

لم يرد سلمان أن يقول أنا أفعل الحرام إذا فعله علي عليه السلام والعياذ بالله، بل أراد أن يقول إنّ عليّاً لا يمكن أن يشرب الخمر وهو الإمام المعصوم بالعصمة الإلهية، أجلس وأشرب معه لأنّ ما يشربه ليس مما حرَّمه الله تعالى.

---

(١) نهج البلاغة، شرح عبده، ص٢١٦.

ولاية الحسن والمعاناة

وقُتل علي عليه السلام بسبب تخلّف الأمّة الفكري والعملي، وجاء الإمام الحسن عليه السلام ليقود المجتمع المتفتّت المتخلّف، لكنّ الظروف لم تتح له فرصة الإصلاح، واضطرّ - كما هو معروف - إلى صلح معاوية.

وجاء أحد أصحابه إليه ليعطي الصورة الواضحة على عدم فهم المسلمين لعصمة الحسن عليه السلام ووجوب طاعته، فسلَّم عليه قائلاً: السلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين، لكنّ الإمام عليه السلام أخبره بهدوء عن سبب الصلح ليعود ذلك الصاحب إلى نفسه معتذراً إلى الإمام[1].

ولاية الأمر في كربلاء

وتولَّى الحسين عليه السلام الإمامة بعد أخيه الحسن عليه السلام ليَرِدَ كربلاء حيث سجَّل التاريخ معاناة الحسين عليه السلام مع المجتمع المضلَّل والمفتَّت والمهزوم باستثناء ثلَّة من أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته الذين كتبوا بدمائهم أرقى لوحة ولاء للإمام الحسين عليه السلام.

وفي العاشر من المحرَّم يستوقفني موقف حدث بعد استشهاد الحسين عليه السلام وهو موقف العقيلة زينب عليها السلام التي وصفها الإمام

(١) انظر: ياسين، صلح الحسن، منشورات خسر، بيروت، ط٢، ص٢٧٦.

زين العابدين عليه السلام بأنّها عالِمة غير مُعلَّمة، فبعد قتل الحسين عليه السلام جاءت زينب العالمة البصيرة صاحبةَ التجربة الطويلة في الحياة، وهي قد تجاوزت الخمسين من العمر، جاءت إلى ابن أخيها الصغير الإمام عليّ زين العابدين عليه السلام لتسأله: ماذا نصنع يا ابن أخي؟ لماذا سألته زينب عليها السلام وهي عقيلة بني هاشم وأفضل نسائهم وهي ربيبة علي بن أبي طالب عليه السلام؟ سألته لأنّه هو وليُّ أمرها، إنّه الإمام الذي تجب عليها طاعته، لقد أعطت زينب عليها السلام في موقفها هذا درساً في الولاية لوليّ الأمر.

وعانى الإمام زين العابدين عليه السلام ما عانى آباؤه من المجتمع الذي لا يدرك حقّ الولاية، وتبعه ولده الباقر عليه السلام فحفيده الصادق عليه السلام.

الإمام الصادق عليه السلام وولاية الأمر

واستلم الإمام الصادق عليه السلام منصب الولاية بعد وفاة أبيه الباقر عليه السلام في ظرف احتضار الدولة الأمويّة، وانصبَّت أعين الناس على الإمام الصادق عليه السلام ليقود الثورة ضدّ الأمويّين، وكتب أبو مسلم الخراساني - أحد قادة الثورة - كتاباً للإمام الصادق عليه السلام جاء فيه: «**إنّي أظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني أميّة إلى موالاة أهل البيت، فإن رغبت فلا مزيد عليك**»[1].

(١) انظر: الأديب، الأئمة الاثنا عشر، منشورات الدار الاسلامية، بيروت، ط١، ص١٨٢.

فكان جواب الإمام الصادق عليه السلام: «**ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني**»[١].

وكانت محاولة ثانية من أبي سَلَمة الخلاَّل - وهو أحد نقباء الدولة العبّاسيّة - فبعث إلى الإمام عليه السلام رسولاً يحمل معه كتاباً يذكر فيه للإمام استعداده للدعوة إليه وتخلِّيه عن بني العباس، فكان جواب الإمام عليه السلام: «**ما أنا وأبو سلمة؟ وأبو سلمة شيعة لغيري**»[٢].

وما يُفهمنا موقف الإمام هو ما جرى له مع صاحبه سدير حينما جاءه قائلاً: والله لا يسَعُكَ القعود، أي لا بدّ أن تقوم لقيادة الثورة، فقال له الإمام الصادق عليه السلام: ولِمَ يا سدير؟ قال سدير: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك، فقال عليه السلام: وكم عسى أن يكونوا؟ فقال: مائة ألف.. فقال عليه السلام: مائة ألف! قال: نعم ومائتي ألف، قال: مائتي ألف! قال: نعم ونصف الدنيا، فسكت الإمام ثمّ ذهبا معاً إلى «**ينبع**» فقال له الإمام وهو ينظر إلى قطيع من الجِداء: «**والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجِداء ما وسِعَني القعود**»[٣].

علم الأئمَّة أنّ في الأمّة مشكلة عقائديّة لا بدّ من أن يركِّز عليها وهي مسألة الولاية فأخذوا يركِّزون عليها لينشأ الجيل المؤمن بها المستعدّ للتضحية من أجلها في سبيل الله تعالى.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، منشورات مؤسسة دار الهجرة، قم، ج٣، ص٢٥٤.

(٣) الكليني، اصول الكافي، ج٢، ص٢٤٢.

الولاية في عصر الغيبة الكبرى

وكان نظر المعصومين عليهم السلام يتركّز على جيل الغيبة الكبرى الذي سيحمل الولاية بإيمان عميق بها، وأرادوا سلام الله عليهم أن يستمرّ ذلك الجيل بموالاته للنبيّ وأئمّة أهل البيت عبر موالاتهم للعلماء الذين ذابوا في خطّ الولاية.

والبداية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي رُوي عنه قوله: «**اللهمّ أرحم خلفائي (ثلاث مرّات) قيل: يا رسول الله، ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون بعدي، يروون حديثي وسنّتي فيعلّمونها الناس من بعدي**»[١]. وهذا الحديث يعطي العلماء المجتهدين دور القيادة والخلافة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشكل واضح[٢].

وجاء الإمام الصادق عليه السلام يركّز في أحاديثه على منصب الحاكمية في المجتمع الإسلامي، وعلى شروط الحاكم والقائد السياسيّ الذي يجب على الأمّة اتّباعه، فأجاب من سأله عن رجلين يريدان أن يتحاكما: «**ينظران من كان منكم ممّن قد روى حديثَنا، ونظرَ في حلالنا وحرامنا وعرَفَ أحكامَنا.. فليرضَوْا به حَكَماً، فإنّي جعلته عليكم حاكماً**»[٣].

وأكّد صاحب العصر والزمان المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف على قيادة

---

(١) انظر: الامام الخميني رحمه الله، الحكومة الاسلامية، منشورات مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام، طهران، ط١، ص٩١.

(٢) انظر المصدر السابق، ص١٠٠ - ١٠١.

(٣) المصدر السابق، ص١٣٥.

العلماء الفقهاء في غيبته حينما أجاب من سأله: «**أمّا الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حُجَّة الله**»[١].

وفي القرن العشرين خرج الإمام الخميني رحمه الله من قُمّ، يجدِّد دعوة النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار في انقياد الأمّة للفقهاء، وحقّق حلم الأنبياء والأولياء بإقامة دولة الإسلام التي يحكمها الفقيه العادل الذي نظر في حلالهم وحرامهم وروى أحاديثهم فكان الحجّة منهم على الأمّة، وكان الاستحقاق من جديد مع نائب المهدي عجل الله فرجه، لكنّ جيل الغيبة هذه المرّة كان قد وعى أبعاد الولاية فنصر الإسلام بنصرة الإمام.

وبرزت من جديد بعد رحيل الإمام، ولاية عليٍّ الإمام عليه السلام في عليّ القائد المفدَّى دام ظله ليقود الأمّة التي تعلّمت من أصحاب الحسين في كربلاء كيف يكون الولاء.

(١) المصدر السابق، ص١٢٠.

المحاضرة العاشرة

التائبون

في مدرسة الحسين عليه السلام

التائبون في مدرسة الحسين عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[١].

بيت الله

من أحكام الإسلام الحنيف أنّه يحرِّم تنجيس المسجد، وإذا تنجّس فيجب تطهيره فوراً.. لماذا شرَّع الله تعالى هذا الحكم؟

والجواب: لأنّه بيّن الله عز وجلّ.

لكن عند مراجعة الروايات نجدها تتحدّث عن بيتٍ لله هو أولى من المسجد بل أولى من الأرض، إنّه بيت الله الحقيقيّ الذي أخبرنا الله تعالى عنه في الحديث القدسيّ القائل: «**لا تسَعُني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعُني قلبُ عبديَ المؤمن**»[٢]. وورد أنّ الله تعالى أوحى إلى نبيّه داود عليه السلام: «**فرِّغ لي بيتاً أسكن فيه، فقال: يا رب، إنك تجلّ عن المسكن، فأوحى إليه فرِّغ لي قلبك**»[٣].

فقلب المؤمن هو بيت الله الحقيقيّ، فإذا كان المسجد يحرُم تنجيسه لأنّه بيت الله الاعتباريّ، فمن بابٍ أولى يحرُم تنجيس قلب

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.
(٢) التستري، الخصائص الحسينية، ص٣٩٦.
(٣) المصدر السابق.

المؤمن لأنّه بيت الله الحقيقي، وإذا كان المسجد يجب تطهيره فوراً عند تنجُّسه، فمن باب أولى يجب تطهير قلب المؤمن فوراً لأنّه بيت الله الحقيقي.

والمسجد يتنجّس بالميتة والدم ونحوهما.. والقلب يتنجّس بالذنوب، فقد ورد أنّ قلب الإنسان حينما يولد يكون كالصفحة البيضاء، كلّما أذنب ذنباً طُبع في تلك الصفحة البيضاء نُقطةٌ سوداء، والويل لمن امتلأ قلبه سواداً.. والمسجد يُطهَّر بالماء..

لكن بماذ نُطهِّر قلوبنا؟

يجيب أمير المؤمنين علي عليه السلام عن هذا السؤال بقوله: «**التوبة تُطهِّر القلوب وتُغسِّل الذنوب**»[1].

مَن التائب وإلى مَن يتوب؟

إنّ ما يدفع الإنسان نحو التوبة إلى الله هو التفاته إلى نفسه.. من هو؟ إنّه العبد المملوك، وإلى من يتوب؟، إلى الله المالك لكلّ شيء..

وعن هذه الإلتفاتة الإنسانيّة تحدث الإمام الحسين عليه السلام مع ذلك الرجل الذي كان يحاول أن يتوب إلى الله، لكنّ هواه يغلبه فيرجعه إلى الذنوب. إلتفت هذا الرجل إلى مرضه فذهب يُفتش عن طبيب لروحه فكان المقصد هو طبيب أهل البيت الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، منشورات مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ط١، ص١٩٥.

تائب في مدرسة الحسين عليه السلام

ونصُّ الرواية أنَّ رجلاً تكرّرت منه المعاصي، وكلّما حاول التوبة غلبته نفسه، إلتفت إلى مرض حلَّ في روحه، فجاء إلى طبيب الروح الإمام الحسين عليه السلام قال له: يا ابن رسول الله، إنّي مسرف على نفسي، فاعرض عليَّ ما يكون لها زاجراً أو مستنقذاً...

قال الحسين عليه السلام: «**إنْ قبلت مني خمس خصال فقدرت عليها، لم تَضُرَّك المعصية..**».

قال الرجل: جاء الفرج.

قال الحسين عليه السلام: «**إذا أردت أن تعصي الله عزَّ وجلّ فلا تأكل رزقه**».

قال الرجل: كيف؟ إذاً من أين آكل، وكل ما في الأرض رزقه؟

قال الحسين عليه السلام: «**أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه**»؟

قال الرجل: لا بأس هاتِ الثانية فربّما كانت فرجاً ومخرجاً.

قال الحسين عليه السلام: «**إذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً في بلاده**».

قال الرجل: يا سبحان الله! هذه أعظم من تلك، فأين أسكن، وله المشرق والمغرب وما بينهما؟

قال الحسين عليه السلام: «**يا هذا، أيليق بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيَه**»؟

قال الرجل: «**لا حول ولا قوة إلاّ بالله، هاتِ الثالثة، فربّما كانت أهون الثلاث**».

قال الحسين عليه السلام: «**إذا أردت أن تعصيَه فانظر موضعاً لا يراك فيه، وهناك افعل ما شئت**».

قال الرجل: ماذا تقول؟! ولا تخفى على الله خافية.

قال الحسين عليه السلام: «**أتأكل رزقه وتسكن بلاده ثم تعصيه، وهو بمرأى منك ومسمع**»؟!

قال الرجل: هاتِ الرابعة، وإلى الله المشتكى.

قال الحسين عليه السلام: «**إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له أخّرني حتى أتوب**».

قال الرجل: لا يقبل منّي ذلك.

قال الحسين عليه السلام: «**أكرهه على القبول**».

قال الرجل: كيف ولا أملك لنفسي معه شيء؟

قال عليه السلام: «**إذا كنت لا تقدر أن تدفعه عنك، فتُب قبل فوات الأوان**».

قال الرجل: على أيّ حال بقيت الخامسة فهاتِها.

قال الحسين عليه السلام: «**إذا جاء الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى الجحيم فلا تذهب معهم**».

فقال الرجل: حسبي حسبي، أستغفر الله وأتوب إليه، ولن يراني بعد اليوم في ما يكره[1].

عرف هذا الرجل من هو، وإلى من يتوب، فتاب إلى الله تعالى.

---

(١) انظر: الحسني، سيرة الأئمّة الاثني عشر، (رواه مع تغيير يسير) ج٢، ص٣٥ - ٣٦.

معنى التوبة

ونحن - الآن - في ليلة العاشر من المحرَّم، ليلة التوبة إلى الله تعالى، فَحريٌّ بنا أن نعرف معنى التوبة لنتوب إلى الله كما تاب بعض أصحاب الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

وعن معنى التوبة يُحدّثنا الإمام علي عليه السلام بقوله: «**التوبة ندم بالقلب، واستغفار باللّسان، وترك الجوارح، وإضمارٌ أن لا يعود**»[1].

فلكي يتوب الإنسان إلى الله لا بد أن يُحقّق أربعة أركان:

الأوّل: أن يشعر بالندم فيخشع قلبه لله.

الثاني: أن يُحرِّك لسانه ليتفاعل مع قلبه بحركة الاستغفار فيقول: (أستغفر الله ربّي وأتوب إليه).

الثالث: أن يترك الحرام الذي ملأ قلبه بالسواد.

الرابع: أن يعزم بينه وبين ربّه أنّه لن يعود إلى الآثام والمعاصي، لن يُسوِّدَ القلب الذي طهَّرته التوبة إلى الله، بل سيحافظ على نقائه وطهارته..

هل يقبل الله تعالى توبة عبده؟

ويُخطىء الإنسان مع الرَّبِّ الجليل، ويعود إليه تائباً، تُرى على يُسامحه؟ إنّ الجواب يستوقف الإنسان أمام عظمة الله، فالله تعالى

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٩٤.

لا يقول للتائب: إنّي قد سامحتك فحسب، بل يقول له: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾[١].

التائب حبيب الله

الإنسان يعصي... والله ينادي للعودة إليه فإذا عاد يُصبح التائب حبيباً له.. وأيّ حبٍّ هو؟!!

فعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من العقيم الوالد ومن الضالّ الواجد ومن الظمآن الوارد**»[٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ الله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلَّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها**»[٣].

باب التوبة

وفتح الله باب التوبة لأحبّائه بأوسع ما يمكن أن يتصوّره الإنسان، فقد ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**من تاب قبل موته بسنة قَبِلَ الله توبته، ثمّ قال: إنّ السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر قَبِلَ الله توبته، ثمّ قال: إنّ الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة قَبِلَ الله توبته، ثمّ قال: إنّ الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قَبِلَ الله توبته، ثمّ قال: إنّ اليوم لكثير، من تاب قبل أن يُعاينَ قَبِلَ الله توبته**»[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٢) انظر: الريشهري، ميزان الحكمة، منشورات الدار اسلامية، بيروت، ج١، ص٥٤١.
(٣) الكليني، أصول الكافي، ج٢، ص٤٣٥.
(٤) المصدر السابق، ص٤٤٠.

ومعنى التوبة قبْلَ المعاينة أي قبل معاينة الموت، قبل أن يعرف الإنسان أنّه سيموت، وإلاَّ فلا تنفعه التوبة، بل يكون مصيره كمصير فرعون حينما أعلن إيمانه بربّ موسى عليه السلام وهارون عليه السلام حينما أحاطت به أمواج البحر.

شرط التوبة

والقارىء لهذه الأحاديث المُصوِّرة لرحمة الله تعالى الواسعة، وكيف فتح باب التوبة لعباده ينبغي أن يلتفت إلى أمرٍ مهمّ، وهو أنّ التائب الحقيقيّ إلى الله، لا بُدَّ أن تكون توبته مُنسجمة مع ماضيه الأسود، فإذا كان قد انغمس بشهوات المعصية والحرام فلا بدّ له أن يُذيق هذاالجسد مرارة الحلال بعد أن أذاقه حلاوة المعصية؛ لتنقلب المرارة عنده عُذوبة والحلاوة عذاباً.

وما يشهد لهذا قصَّة حصلت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أحد الشبَّان الذين عاشوا الإنحراف في أسوأ صورة..

فقد جاء في تفسير الصافي (سورة آل عمران) أنّ مَعاذَ بن جبل دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باكياً، فسلَّم فردَّ عليه، ثمّ قال: «**ما يُبكيك يا مَعاذ؟ فقال: إنّ بالباب شابّاً طري الجسد، نقيّ اللون حسن الصورة يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها، يريد الدخول عليك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أدخل عليَّ الشابّ يا مَعاذ. فأدخله عليه فسلَّم عليه فردّ صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال: ما يُبكيك يا شابّ؟، قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله عزّ وجلّ ببعضها أدخلني نار**

جهنم، ولا أراني إلاَّ سيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً»!!

فقال رسول الله ﷺ: «**هل أشركت بالله شيئاً**»؟

قال: أعوذ بالله أن أشرِك بالله شيئاً!

قال ﷺ: «**أقتلت النفس التي حرَّم الله**»؟

قال: لا.

قال ﷺ: «**يغفرُ الله ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي**».

قال الشاب: فإنها أعظم من الجبال الرواسي.

قال ﷺ: «**يغفرُ الله ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق**».

قال: فإنّها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق.

قال ﷺ: «**يغفرُ الله ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسيّ**».

قال: فإنّها أعظم من ذلك.

فنظر النبي ﷺ كهيئة الغضبان ثمّ قال: «**ويحك يا شاب، ذنوبك أعظم أم ربك**»؟، فخرَّ الشاب لوجهه وهو يقول: سبحان الله ربّي، ما شيء أعظم من ربّي، ربّي أعظم يا نبيّ الله من كل عظيم.

فقال النبي ﷺ: «**فهل يغفر الذنبَ العظيم إلاَّ الربُّ العظيم**»؟

قال الشاب: لا والله يا رسول الله، ثمّ سكت الشابّ، فقال النبيّ ﷺ: «**ويحك يا شابّ، ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك**»؟

قال: بلى أخبرك، إنّي كنت أنبش القبور سبع سنين، أخرج الأموات وأنزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار، فلمّا حُمِلَتْ إلى قبرها ودُفِنَت وانصرف عنها أهلها وجنَّ عليهم الليلُ، أتيتُ قبرها، فنبشتها ثمّ استخرجتُها، ونزعت ما كان عليها من أكفانها، وتركتها متجرّدة على شفير قبرها ومضيت مُنصرفاً، فأتاني الشيطان فأقبل يُزيّنها إليّ ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما ترى وِركَيها؟ فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعتُ إليها، ولم أملك نفسي حتى جامعتها وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شابّ، ويل لك من ديَّان يوم الدّين، يوم يقفُني وإيّاك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتني من حفرتي، وسلبتني أكفاني، وتركتني أقوم جُنُباً إلى حسابي، فويلٌ لشبابك من النار.

فما أظنُّ أنّي أشمُّ ريح الجنّة أبداً فما ترى لي يا رسول الله؟

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: تنحَّ عنّي يا فاسق، إنّي أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار! ثمّ لم يزل صلى الله عليه وآله وسلم يقول ويُشير إليه حتى أمعن من بين يديه.

فذهب فأتى المدينة فتزوَّدَ منها، ثم أتى بعض جبالها فتعبَّد فيها، ولبس مِسْحاً وغلَّ يديه جميعاً إلى عنقه ونادى:

يا ربّ! هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول..

يا ربّ! أنت الذي تعرفني، وأزِل عني ما تعلم سيّدي..

يا ربّ! أصبحت من النادمين وأتيت نبيّك تائباً فطردني وزادني

خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لا تُخيِّب رجائي، سيّدي، ولا تبطل دعائي ولا تؤيِّسني من رحمتك.

فلم يزل يقول ذلك حتى تمتّ له أربعون يوماً وليلة فرفع يديه إلى السماء وقال:

اللّهمَّ ما فعلت في حاجتي؟ إن كنت استجبت دعائي، وغفرت خطيئتي فأوحِ إلى نبيِّك، وإن لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وأردت عقوبتي، فعجّل بنار تُحرقُني أو عقوبة في الدنيا تهلكني، وخلّصني من فضيحة يوم القيامة.

فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيّه ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ﴾، يقول عزّ وجلّ: أتاك عبدي يا محمّد تائباً فطردته فأين يذهب، وإلى من يقصد، ومن يسأل أن يغفر له ذنباً غيري؟ ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويبتسم، فقال لأصحابه: من يدلّني على ذلك الشابّ التائب؟ فقال معاذ: يا رسول الله بلغنا أنّه في موضع كذا وكذا، فمضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل، فصعدوا إليه يطلبون الشابّ، فإذا هم بالشابّ قائم بين صخرتين، مغلولة يداه إلى

عنقه، وقد أسودَّ وجهه وتساقطت أشفار عينيه من البكاء. فدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه، وقال: يا بهلول أبشِرْ، فإنّك عتيق الله من النار.

ثمّ قال لأصحابه: «**هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول، ثمّ تلا عليه ما أنزل الله عزّ وجلّ فيه وبشّره بالجنة**»[1].

توبة الحُرّ في عاشوراء

نحيي هذه الليلة ليلة العاشر من المحرَّم، إنّها ليلة الإنقلاب..

إنّها ليلة القرار الصعب..

إنّها ليلة الخيار بين الجنّة والنار..

ففي معسكر الحسين عليه السلام يقف الحسين عليه السلام في مثل هذه الليلة يقول لأصحابه: «**هذا الليل قد غشيَكم فاتخذوه جملاً**»..

ويُقرّر الأصحاب الشهادة مع الحسين عليه السلام.

وفي معسكر يزيد يقف أحد قادة الجيش «**الحُرّ بن يزيد الرياحي**» الذي كان على رأس ألف مقاتل هدفه أن يُجبر الحسين عليه السلام على أخذ البيعة ليزيد أو أن يأخذه إلى الكوفة..

كان لهذا الرجل دور كبير في مأساة كربلاء. الإمام الحسين عليه السلام بدأ بحوار هادىء يُذكّره بالله فأثّر كلام الإمام الحسين عليه السلام أثره في إحياء ضمير «**الحُرّ**» فأخذ يفكّر ويتأمّل في وضعه،

(١) الكاشاني، تفسير الصافي، منشورات الأعلمي، بيروت، ج١، ص٣٨٢ - ٣٨٤.

ثمَّ ذهب إلى «**عمر بن سعد**» وسأله: أمقاتل أنت هذا الرجل؟، أي الحسين عليه السلام.

فأجابه «**عمر**»: أي والله قتالاً أيسره أن تطيح الأيدي وتتقطع الرؤوس وتتطاير الأكفّ.

هنا اشتدّ الصراع في داخل «**الحُرّ**» وظلَّ يُفكّر في مصيره. وفيما هو يُفكّر أصابته رعشة فارتعد، ممّا أثار دهشة أحد رفاقه، فقال له:

إنّ أمرك لعجيب، فوالله لو سُئلت عن أشجع أهل الكوفة أو العراق لما عَدوْتُك، فماذا أصابك؟

فأجابه: إنّي مُخيّرٌ بين الجنّة والنار، فوالله لا أختار على الجنّة شيئاً أبداً، وإن قُطِّعتُ ومُزِّقتُ وأُحرقتُ.

بعد ذلك ذهب «**الحُرّ**» إلى خيمة الإمام الحسين عليه السلام وجاء منادياً: «**اللهمَّ إليك تبتُ فتب عليَّ، لقد أرعبتُ قُلوب أوليائك وأولاد نبيّك..**»

وعندما وقف أمام خيمة الإمام كان رأسه منحنياً على سرج فرسه، فقال للإمام: «**أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجعجعت بك الطريق، سيّدي ومولاي، جئتك تائباً إلى الله ممّا كانت منّي، فهل ترى لي من توبة؟ فقال له الإمام: نعم، يتوب الله عليك فأنت الحرّ في الدنيا وأنت الحرّ في الآخرة إن شاء الله**»[1].

(١) انظر: المقرَّم، مقتل الحسين، ص٢٣٦.

فلنعاهد الحسين عليه السلام

ليلة العاشر ليلة التوبة إلى الله..

ليلة الإنقلاب مع الحسين عليه السلام..

ليلة تركِ الدنيا القبيحة والتوجّه لجنّة الخلد..

ليلة ترك الحرام الذي سبَّب مأساة كربلاء..

فلنعاهد الله في هذه الليلة، ليلة شهداء عاشوراء، أن نتوب إلى الله كما تاب «**الحر الرياحي**»..

فلنعاهد الله..

أن نترك الحرام الذي غرزت رماحه في صدر أبي عبد الله الحسين عليه السلام..

أن نترك المعاصي التي قطعت سيوفها رأس أبي عبد الله الحسين عليه السلام..

أن نترك الحرام الذي رمت سهامه «**عبد الله الرضيع**»..

أن نترك المعاصي التي سبَّبت قتل «**أبي الفضل العباس**» وتقطيع «**علي الأكبر**» إرباً إرباً..

أن نترك الآثام التي هتكت خِدْرَ «**زينب**» عليها السلام وحجاب بنات رسول الله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

في ليلة العاشر من المحرم

فلنعاهد الإمام الحسين عليه السلام أن نتوب إلى الله ونسير على خُطاه، فبذلك يتحقّق الهدف من إحياء مجالس عاشوراء.

والحمد لله ربّ العالمين

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

(أ)

٢ - الأئمّة الإثنا عشر، عادل الأديب، منشورات الدار الإسلاميّة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣ - أصول الكافي، محمّد بن يعقوب الكُلَيني، تعليق علي أكبر الغفاري، منشورات دار الأضواء، بيروت ١٤٠٥هـ.

٤- أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين، منشورات دار التعارف، بيروت.

٥ - الإمامة، الشهيد مرتضى مطهّري، ترجمة علي جواد كسَّار، منشورات مؤسّسة أُمّ القرى، قُمّ، ط١.

٦ - الأنبياء، السيّد عبد الصاحب الحسني، منشورات مؤسّسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى.

٧ - أنصار الحسين، الشيخ محمّد مهدي شمس الدين، منشورات الدار الإسلاميّة، بيروت، الطبعة الثانية.

(ب)

٨ - بحار الأنوار، الشيخ محمّد باقر المجلسي، منشورات مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٩ - بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد، الشيخ محمّد بن

الحسن بن فرُّوخ الصفّار القُمّي، تعليق الحاج ميرزا محسن كوجه باغي التبريزي، قُم، إيران ١٤٠٤هـ.

(ت)

١٠ - تسلية الفؤاد، السيّد عبد الله شبَّر، منشورات مؤسّسة الوفاء، بيروت.

١١ - تصنيف غُرَر الحِكَم ودُرَر الكَلِم، عبد الواحد بن محمّد تميمي آمدي، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، قُم، الطبعة الأولى.

١٢ - تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، قُم ١٤٠٨هـ.

١٣ - تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، منشورات مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

١٤ - التفسير الكاشف، الشيخ محمّد جواد مغنيّة، منشورات دار العلم للملايين، بيروت.

١٥ - التفسير الكبير، الفخر الرازي، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، قم ط٣، ١٤١١هـ.

١٦ - تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمّد المشهدي، منشورات مؤسسة النشر الاسلامي، قم ١٤٠٧هـ.

١٧ - تفسير الميزان، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، منشورات الأعلمي، بيروت ١٩٨٣م.

١٨ - تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، منشورات إسماعيليان، قم.

(ث)

١٩ - ثورة الحسين عليه السلام، الشيخ محمّد مهدي شمس الدين، منشورات دار التعارف، الطبعة الخامسة، بيروت.

(ج)

٢٠ - الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمّد عيسى بن سورة، تحقيق كمال يوسف الحوت، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان ١٤٠٨هـ.

(ح)

٢١ - حديث الثقلين، منشورات دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، القاهرة، طبع مخيمر.

٢٢ - حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، أكرم بركات، منشورات دار الصفوة، بيروت ١٩٩٧م.

٢٣ - الحكومة الإسلاميّة، الإمام روح الله الموسوي الخميني، منشورات مؤسّسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، الطبعة الأولى.

٢٤ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أحمد بن عبد الله الأصفهاني، منشورات، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٥ - حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، باقر شريف القرشي، منشورات دار الكتب العلميّة، قُم، الطبعة الأولى ١٣٩٦م.

(خ)

٢٦ - الخصائص الحسينيّة، الشيخ جعفر التستري، تحقيق جعفر الحسيني، منشورات أنوار الهدى، قُم.

٢٧ - خطاب القائد (بمناسبة شهر محرَّم الحرام) منشورات الوحدة الإعلاميّة المركزيّة في حزب الله، لبنان ١٤٢٠هـ.

(ر)

٢٨ - روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوري، منشورات مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

(س)

٢٩ - سلوني قبل أن تفقدوني، الشيخ محمّد رضا الحكيمي، منشورات الأعلمي، بيروت.

٣٠ - سيرة الأئمّة الإثني عشر، السيّد هاشم معروف الحسني، منشورات الشريف الرضي، قُم.

(ص)

٣١ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجَّاج القشيري النيسابوري، منشورات دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٢ - صلح الإمام الحسن، الشيخ راضي آل ياسين، منشورات ناصر خسرو، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٦هـ.

(ط)

٣٣ - الطفل نشوؤه وتربيته، إعداد ونشر مؤسّسة البعثة، قُم.

(ع)

٣٤ - العدل الإلهي، الشهيد مرتضى المطهّري، منشورات الدار الإسلاميّة، بيروت.

(ف)

٣٥ - فرائد السمطين، المحدِّث ابراهيم بن محمّد بن المؤيّد بن عبد الله بن علي بن محمّد الجويني الخراساني، تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي، منشورات مؤسّسة المحمودي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٣٦ - الفصول المهمّة في تأليف الأمّة، السيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، منشورات الرضي، قُمّ.

٣٧ - فضائل الخمسة من الصالح الستّة، السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٤، ١٩٨٢م.

(ق)

٣٨ - قصص الأنبياء، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، تحقيق غلام رضا عرفانيان اليزدي، منشورات مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد، إيران، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٩ - قصص الأنبياء، نعمة الله الجزائري، منشورات الأعلمي،

بيروت، ط٨.

(ك)

٤٠ - كشف الغُمّة في معرفة الأئمّة، المحقق عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، بيروت، لبنان ١٤٠١هـ.

٤١ - كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، العلّامة جمال الدين الحسن بن يوسف الحلّي، تحقيق علي آل كوثر، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة، قُمّ، إيران، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٤٢ - كنز العمال، علاء الدين المتّقي بن حسام الدين الهندي، منشورات مؤسّسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ.

٤٣ - كنز الفوائد، محمّد بن علي الكراجكي، منشورات مكتبة المصطفوي، قُم.

٤٤ - الكوكب الدرّي، الشيخ محمّد مهدي الحائري المازندراني، منشورات الشريف الرضي، قُم ١٤١٠هـ.

(م)

٤٥ - المراقبات، الميرزا جواد التبريزي، منشورات دار السلام، بيروت.

٤٦ - مروج الذهب، علي بن الحسين بن علي المسعودي، منشورات مؤسّسة دار الهجرة، قُم، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

٤٧ - مستدرك الوسائل، الشيخ حسين النوري الطبرسي،

تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، قُم ١٤١٤هـ.

٤٨ - المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب، الحافظ محمّد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي، تحقيق الشيخ احمد المحمودي، منشورات مؤسّسة الثقافة الإسلاميّة لكوشانبور، قُم، الطبعة الأولى المحقّقة ١٤١٥هـ.

٤٩ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.

٥٠ - معالم المدرستين، السيّد مرتضى العسكري، منشورات مؤسّسة البعثة، قُم.

٥١ - مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزّاق الموسوي المقرَّم، منشورات دار الثقافة، قُم ١٤١١هـ.

٥٢ - الملحمة الحسينيّة، الشهيد مرتضى المطهّري، منشورات المركز العالمي، قُم.

٥٣ - المناقب، أحمد بن محمّد المكّي الخوارزمي، تحقيق مالك المحمودي، منشورات مؤسَّسة النشر الإسلامي، قم.

٥٤ - منية المريد، محمّد بن جمال الدين مكّي العاملي (الشهيد الثاني)، منشورات دار المرتضى، بيروت.

٥٥ - ميزان الحكمة، الشيخ محمّدي الريشهري، منشورات الدار الإسلاميّة، بيروت.

(ن)

٥٦ - نهج البلاغة، الإمام عليّ بن ابي طالب، شرح محمّد عبده، منشورات مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

(و)

٥٧ - وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة، الشيخ محمّد بن الحسن الحُرّ العاملي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الفهرس

المقدّمة ٥

المحاضرة الأولى ٧

الحسين عليه السلام النور الخامس ٩

الأوّل من محرَّم ٩

الملتَقَى بين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والحسين عليه السلام ١٠

الملتقَى الأوّل: عالَم الأنوار ١٠

واستمرَّ الملتقى: ١٠

واستمرّ الملتقى ١٢

واستمرَّ الملتقى بين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والحسين عليه السلام ١٣

... في يوم القيامة ١٤

الملتقى في التشريع الإلهي ١٤

تساؤل عن المقام الأمجد والمتلقى المؤكَّد ١٥

سرُّ مقام النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ١٦

سرِّ الملتقى بين محمّد وآله ١٨

الحلّ= ولاية الحُجَج عليهم السلام ٢١

سرُّ الملتقى ٢٣

المحاضرة الثانية ٢٥
الحسين عليه السلام في بيت علي عليه السلام ٢٧
الحسين عليه السلام المولود ٢٩
ما هي هذه الكلمة؟! ٢٩
تسمية الحسين عليه السلام ٣٠
غذاء الحسين عليه السلام ٣١
رفيق الحسين عليه السلام في طفولته ٣٣
الحسين عليه السلام في سورة الدهر ٣٣
الحسين عليه السلام في آية المباهلة ٣٥
الحسين عليه السلام تحت كِساء العِصمة ٣٦
الحسين عليه السلام في صباه: أسلوب الدعوة ٣٧
من أخلاق الحسين عليه السلام ٣٨

المحاضرة الثالثة ٤١
لماذا ثار الحسين عليه السلام؟ ٤٣
تربة كربلاء والقداسة ٤٣
سرُّ قداسة التربة ٤٥
سبب ثورة الحسين عليه السلام ٤٥
إنحراف القيادة (سياسة معاوية) ٤٦
سياسته تجاه الإمام عليّ عليه السلام ٤٩
الحرب ضد علي عليه السلام في القرآن الكريم ٤٩
الحرب ضدّ عليّ عليه السلام في السنَّة النبويّة ٥٠

لعْن عليّ عليه السلام ٥٠
مسجد الذِّكْر ٥١
الحرب ضدّ اسم عليّ عليه السلام ٥٢
تأثّر مؤقّت ٥٣
العارفون الصامدون ٥٣
معاوية والنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ٥٥
أثر سياسة معاوية في المجتمع الإسلامي ٥٧

المحاضرة الرابعة ٥٩
ثورة الحسين عليه السلام : التخطيط والنتائج ٦١
آدم عليه السلام يبكي الحسين عليه السلام ٦١
نوح عليه السلام يذكر الحسين عليه السلام ٦٢
إبراهيم عليه السلام يبكي الحسين عليه السلام ٦٣
موسى عليه السلام يلعن قاتل الحسين عليه السلام ٦٣
عيسى عليه السلام يدعو على قاتل الحسين عليه السلام ٦٤
محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يبكي الحسين عليه السلام ٦٤
لماذا بكى الأنبياء عليهم السلام على الحسين عليه السلام ؟ ٦٤
صور من المجتمع المهزوم في عصر الحسين عليه السلام ٦٥
بنو أسد يُهزَمون ٦٥
خوف الكبار ٦٥
وحدثت الملحمة ٦٩

من نتائج الثورة ٧١
انتفاضة المدينة ٧١
ثورة التوّابين ٧١

سبحان الله!! ٧٣
إنّها بركات دم الحسين عليه السلام ٧٣
ثورة المختار ٧٣
وتوالت الثورات ٧٤
يا لَعظَمة الحسين عليه السلام !! ٧٤

المحاضرة الخامسة ٧٧
حُبُّ الحسين عليه السلام ٧٩
لماذا خلَقَنا الله؟!! ٧٩
العبوديّة = الحريّة ٨٠
العبوديّة و«بِشْر الحافي» ٨٠
العبوديّة في العاطفة ٨١
الأحبّاء ٨٢
حبّ عليّ عليه السلام ٨٥
سعادة محبّ عليّ عليه السلام في الآخرة ٨٧
حبُّ الحسين عليه السلام ٨٩
مظاهر حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للحسين عليه السلام ٩٠
إبراهيم عليه السلام فداء الحسين عليه السلام ٩١

عشّاق الحسين عليه السلام ٩١
الحبّ مدخل العبوديّة ٩٣

المحاضرة السادسة ٩٥
الإخلاص في ثورة الحسين عليه السلام ٩٧
قيمة العمل ٩٧
عمل + إخلاص ٩٨
طاووس والإمام السجّاد عليه السلام : ٩٩
بُهلول ودرس الإخلاص ١٠٠
خاتَمُ عليّ عليه السلام : إخلاص أم ثمن غالٍ؟! ١٠١
حساب العالم ١٠٣
إخلاص الحسين عليه السلام ١٠٤
إخلاص أصحاب الحسين عليه السلام ١٠٤

المحاضرة السابعة ١٠٩
الموت في نظر الحسين عليه السلام ١١١
بهاء الحسين عليه السلام في طريق الموت ١١١
حقيقة الموت ١١٢
الموت: لوحة الجمال ١١٢
لماذا نكره الموت؟ ١١٣
ذكر الموت ١١٤
ملك الموت والسلطة الواسعة ١١٥

سكرة الموت ١١٨
قبض الروح ١١٩
نداء السماء ١٢١

المحاضرة الثامنة ١٢٥
الحسين عليه السلام في سورة الفجر ١٢٧
مراتب النفس ١٢٨
نماذج النفس المطمئنّة ١٢٨
ماذا كان موقف نبيّ الله أيّوب عليه السلام؟ ١٢٩
أساس الإطمئنان ١٣٠
حوار مع الجنين ١٣٠
حوار مع الإنسان ١٣١
معالم الجنّة ١٣١
معالم جهنّم ١٣٤
جهنّم بين الإحتمال واليقين ١٣٥
التغافل ١٣٧
الموت الجميل ١٣٧
الحسين عليه السلام يبتسم للموت ١٣٨

المحاضرة التاسعة ١٤١
الولاية في مدرسة الحسين عليه السلام ١٤٣
طاعة الله ١٤٣

طاعة الرسول ١٤٤
طاعة أولي الأمر ١٤٤
الخلفاء اثنا عَشَر ١٤٦
دور الولاية في الدنيا والآخرة ١٤٧
في الدنيا ١٤٧
عند الموت ١٤٨
في القبر ١٤٨
يوم القيامة ١٤٩
ولاية عليّ عليه السلام في صدر الإسلام ١٤٩
ولاية الحسن والمعاناة ١٥١
ولاية الأمر في كربلاء ١٥١
الإمام الصادق عليه السلام وولاية الأمر ١٥٢
الولاية في عصر الغيبة الكبرى ١٥٤

المحاضرة العاشرة ١٥٧
التائبون في مدرسة الحسين عليه السلام ١٥٩
بيت الله ١٥٩
لكن بماذ نُطهِّر قلوبنا؟ ١٦٠
مَن التائب وإلى مَن يتوب؟ ١٦٠
تائب في مدرسة الحسين عليه السلام ١٦١
معنى التوبة ١٦٣

هل يقبل الله تعالى توبة عبده؟ ١٦٣
التائب حبيب الله ١٦٤
باب التوبة ١٦٤
شرط التوبة..... ١٦٥
توبة الحُرّ في عاشوراء..... ١٦٩
فلنعاهد الحسين عليه السلام ١٧١
في ليلة العاشر من المحرم..... ١٧١

المصادر والمراجع..... ١٧٣

الفهرس..... ١٨١